







32101 059526077



# التصوف وعلم العرب



جنور عبد النور



2.07

Abd al-Nūr, Jabbūr

al-Taṣawwuf



(RECAP)

(Arab)

BP189

.A15

(RECAP)

كلمة

~~227~~  
~~505217~~  
~~J36~~  
~~BP8~~

وقف على مخطوطة هذا البحث الشيخ العلامة مصطفى  
الفلايني ، فابدى لنا ملاحظات قيمة اشرفنا الى بعضها  
في مكانها . ووقف على قسم منها الاستاذ فؤاد افرايم  
البيستاني استاذ الاداب العربية في جامعة القديس يوسف .  
ولا يسعنا الا ان نشير الى مساعدة استاذنا جورج  
الكفوري مدير الدروس العربية في الكلية العلمانية ،  
فقد نعهد فكرة هذا الكتيب بعنايته منذ تفتقها الى  
حين انعقادها ، واذ ان فيها نبي من الجدة والحلاء فان  
الفضل يعود اليه وسعده .

بيروت في ٣١ اذار سنة ١٩٣٨

ج.ع.ع



# المقدمة

بسم الفيلسوف التركي المتصوف الدكتور رضا نوبيس

طالمت هذا البحث بعناية في اول الامر عندما قدمه لي صديقي جورج الكفوري ، ثم تعرفت بعد ذلك شخصياً الى الاديب جبور عبد التور فامضيئنا معاً ساعتين طريقتين في منزلي على كتف البحر ، نتحدث عن فلسفة التصوف واخبار الاولياء .

واني لابدأ كلحتي هذه بتهنئة هذا الاديب الناشئ ، امام قراء العربية ، لما بذله من العناية في اخراج هذا الكتيب الذي يجمع في صفحاته القليلة تاريخ التصوف الاسلامي . فان من ابرز ميزاته انه يلخص بجلاء ووضوح المذهب الصوفي العربي الاسلامي . واني اتصح بنوع خاص الشبيبة الراقية في الاقطار العربية بدراسته ، لانه يوقفها على بعض نواح من تراث اجدادهم الذين اثاروا ظلمات العالم بنور هديهم طوال القرون الوسطى .

قام المؤلف بكتابة تاريخ الحركة الصوفية بكثير من

الدقة والامانة ، فلم يجازب رأياً على آخر ، ولم يشايع مذهباً  
 ليهدم مذهباً يخالفه . وإنما درس ووازن واستنتج استنتاجاً لا  
 اثر للتشيع فيه ، وهذا ما يشعر به القاري . في جميع اقسام  
 الدرس . ومما يزيد في قيمته ان المؤلف قد صرف عنايته الخاصة  
 في مراجعة النصوص الاولى في تاريخ التصوف ، فوقف على  
 مؤلفات الشهرستاني والقشيري والسهروردي والغزالي وكولد  
 زهير وماسينيون وكاراده فو وسواهم من مشاهير المؤرخين  
 الذين عنوا بتدوين اطوار الفكر الاسلامي عامة والعربي خاصة  
 وقد ساعده هذا على تفهم الاسس العميقة التي قامت عليها  
 النزعات الصوفية المختلفة الاهواء . والاهداف والمذاهب .  
 واخرج كل ذلك في الواح طريفة طيبة .

وخصص بعض مقاطع لتحليل شخصيات مشاهير المتصوفين  
 كبوذا وابراهيم بن ادهم وابن عربي وابن الفارض والغزالي ،  
 تكاد تكون رسوماً ناطقة لوضوح خطوطها واقتصارها على  
 المهم ، واستعانتها عن الافاضات المملة كما يفعل الرسامون الذين  
 يظهرون صورة المرء بكثير من العناية وقليل من الخطوط .  
 فايزد بإيجاز ما تتناز به هذه الشخصيات ، وانتقد ما تؤاخذ به  
 لاسيما عند ما يتكلم عن تطرف الشيخ الاكبر في مذهبه

الديني ومزجه حب العزلة لاهية نحو برزخ قصائد  
العديدة .

\*\*\*

أما الغرور الذي اشر اليه عداس عرق ، ابن الفارض ،  
وهو يعود كما اعتقد الى اجوب شطح العصبه التي عر فيها  
شعراء الصوفيه . وقد اتفقوا جميعا كمولانا جلال الدين الرومي  
والشاعر التركي المشهور بسبحي ، في حب الخلاج ، الذي ادعى  
به الامر الى ان ابقى وضي شعاع مثله في حب وسواهما على  
نظم المصنف حتى تحرر به عن الكبر .

واعتقد به من الممكن التجرع من مثالاتهم في  
شطحاتهم لان الصوف الذي علم به مولانا جلال الدين الرومي  
و ابن عربى ، هو مذهب وسفي ديني دوقي ، ونحن على النظر ،  
الحوية المثالية . ومن نفس هذا المذهب لاعتقد قرب الله  
وحمله في كل كائن ، وبعد ثمه سمى بالديانة الخفية ،  
ولمذاهب الانعوتة الصرفة وقد يحس صوف لامم  
على الكلام لاقى : " من رتب شيئا لا ورأت الله فيه " .  
الذي يحسن الكلام قبيح وحلا . كثر الخيال الالهي ، لانهم  
يعتقدون انه من اجل المقام قرب الله وجوده في كل مكان .

وزمان ، دون التسليم بأسطورية الحلوية . وهذا مما يشبه في وقتنا  
الحاضر ما يذهب اليه العلماء الطبيعيون من افتراض وجود الاثير  
الكوني ، لتأويل بعض لقوانين العامة ، دون ان يتوصلوا الى  
اثبات حقيقة وجوده . ويجب ان لا يغرب عن بالنا ان  
المتصوف هو قس كل شي ، مثالي ، يعتقد اعتقاداً راسخاً بان  
الـ لم احصي ليس الا من وحي الخواص وخواصها وقد عبر  
عن ذلك الشاعر العموي الفارسي مولانا جاني حيث يقول :

كل ما في الكون وهم او خيال

او عكوس في مرايا او ضلال

ولهذا يعتقد ابن عربي بانه ليس للموجودات المسمية  
وجود حقيقي ، بل لها وجود وهمي جعله الله فيها " لا نفهم  
ذاتي بل باقامة الحق " . واما ان عالم الشهادة ليس في الواقع الا  
سراً جديداً توحىه الربا حوسا " فانما بضل عندما نقش عن  
الخائق في العالم الخارجي ، لانه من الواجب علينا ان ننصرف  
الى ضمائرنا " الى قلوبنا ونمش في زواياها ، وهي اصلح مكان  
واعضله لطهور الحق فيه . وانه هو - الاسرار - ونقطه غيب  
والموجود المطلق ، الذي لا تحد دانه ولا تعرف صفاته ، ولا  
يعبر عنه ما كثر من لفظة " هو " لانه ليس كمثل شي . في

## الموجودات الحية وغير الحية .

حاء في القرآن الكريم : « وخلقنا الانسان في احسن تقويم » وجاء في الحديث : « خلق الله آدم على صورته وعلى صورة الرحمن » . وجاء في حديث قدسي : « لا يسعني ارضي ولا سمانى ولكن بسمي قلب عبدي المؤمن » . فثبت كل ذلك لشيوخ الصوفية ان الانسان يضم في قلبه سر الله . ودفعت هذه الحقيقة ندعة مشاهيرهم الى احوال عصبية تتجلى فيها المغالاة في الاحاديث الدنيوية ، ولتكلم باسم الخالق ، كما حدث ليزيد البسطامي وللحلاج الشهيد لصوفي المشهور الذين كانا يرددان امثال هذا لقول المتطوف : « سجدني .... ما اعظم شأني .. ليس في حتمي سوى الله » انا الخلق » . وهذا ما وقف عنده الشعراء انفسهم كمولانا جلال الدين الرومي وابن الفارض وابن عربي الذين اندفعوا في هذه الطريق الخاطئة حتى توصلوا الى اقصى ما يمكن ان يتوصل اليه الانسان من الغرور والمغالاة لا شك في ان الصوفية هي المذهب الفلسفي الوحيد الذي توصل الى العثور على الخالق باقصر البراهين المنطقية والبسطها ، وحمل الشخصية الانسانية في اسمى درجات الوجود وخصها بالاتصال بالخالق . وهذا سر التصوف الذي يحاول المؤرخون

منذ اقدم المصور الى اوقت الحاضر استشهد به وتهم كنهه .  
 فان جمع المذهب اللاهوتية الحرة ، والفسادات الدينية تتوصل  
 في حر الامر بعد الانتقال من صور الى آخر الى النتيجة القائلة  
 بحلول الله في ذات الانسان الكامل ، طبيعة الله في الارض ،  
 وقطب الاقطاب ، والغوث الاعظم الذي نفى ذاته في ذات  
 الخالق ليعود بعد ذلك الى العالم بصورة انسانية ويتصل  
 بالشرية اتصالا مباشرا ويقودها الى الصراط المستقيم

ولست في حاجة الى ان اعرض للصلات الوثيقة التي تجمع  
 بين هذه النظريات والمذهب الافلاطوني المستحدث . ومن مسمع  
 ذلك ، حلي واضح ، لا يعود الى الاسلام السيئ بصفة نسب .  
 ومن ثم فحرف حال الشريعة في كنه من الاقطار الاسلامية  
 والعربية الى ما هو اصحاح الشريعة لئلا يدخلوا خلقت  
 المتصوفين فعدوا ما هجرت . فخرجوا عن ثبوت ، وصعدوا  
 بالصفة لثبوتها اذ حيلة واحدة حروا حصونا للدين بعد ان كانوا  
 من اصديق المجاهدين في احب الصفة الايزية اريهية

\*\*\*

لا يساعدنني اوقت للاوضه في مثل هذه التحولات اطلاقية  
 . وكسي أمل ان الاديب مؤتمن مستريح لي الفرصة في المستقبل  
 للعودة الى مثل هذه الدروس لفتيمه .

## الزعة الروحية في الاسلام

ان اشربعه لاسلاميه، كسوها من الشرائع لسانية، للذبات الموحدة، حاولت ان تجعل للنمر، حديدتين مختلفتين حد لاختلاف : حياة مادية يحياها في عالم الارضي، وحياة حرة روحية متمايزة بقشوق اليها وبحس الى بلوغها. ولم تكشف، سقاف لسم على هاس الباحثين فقط من هصب اثائية على لادى، وحملت من حيرة ديا - تعدد سوع مرتبة لكال التي لا يصح انهم لاسان لا بعد اثوت - ولا شك في - ما ترمي اليه جميع اللذبات في هذا التقسيم والتفصيل هو رفع لشى الاخلاقي عند الشعوب، وصدوم عن الحياة النبوية بعض لصد - فتقن الشروع بالآباء، وتصور القلوب بسقى في عايتها، تتعاون في حياها لسوع العامة لقصوى - وهي اذا ما دوصت في رفع ذلك لستوى لاخلاقي تتوصل ايضا الى ارداء النفوس لنعيشة الى حياء شى حد ما لعتة في دياها الحاخرة

كان الاسلام في شانه لادى من اكثير الذبائن حصا على الحياة النبوية، وصحها بياكى وصف لحة وما ملاقه فيها المؤمنون من عيم وسعدة لمة، ولا عابه لها في هذه الصور الشعرية الرائعة التي ترسمها للجنات، الجود والاهار ولا عايات سوى تحوس انظار الناس عما يحيط بهم من حياء مادية ضيقة سحرون اليها سكر قوم، الى حياة ثانية مشرقة صحوك بلها لاسان اذا ساعد الفقير، شفق على اليتيم وصدق في عماله واقواله، واعتقد ان هالك رنا محاسا يحياي على الخير ويعاقب على الشر،

وَأَمِّنْ بِرِسَالَةِ النَّبِيِّ الْعَرَبِيِّ

فِي اقْتِرَافِ آيَاتٍ عَدِيدَةٍ تَشْتَبِهُ هَذَا الرَّأْيَ ، وَتَوْحِيدِ سَائِلِ الدِّينَةِ  
الْإِسْلَامِيَّةِ قَدْ فَصَّلْتُ حَيَاةَ الثَّانِيَةِ عَلَى الْحَيَاةِ الدِّيُونِيَّةِ ، وَحَصَّيْتُ عَلَيْهَا ،  
وَهَدَدْتُ الْمُتَعَمِّقِينَ لِلْمَقَرِّينَ بِالْوَيْلِ ، الشُّورَ ، مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ قَوْلُهُ :

« وَمِثْلَ الَّذِينَ يَفْقَهُونَ أَمْوَالَهُمْ أَشْبَهَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَمَيَّتَ مِنْ  
أَنْفُسِهِمْ كَمِثْلِ حَبَّةِ بَرْبُورَةِ أَهْلِهِمْ ، وَابِلَ قَائِلٍ أَكْبَاهِ صَعْفَيْنِ وَنَ لِرِصْمِهِ  
وَابِلَ فُطْلٍ وَاللَّهُ عَمَلُونَ بَصِيرٌ (١) » وَقَوْلُهُ - « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا  
لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَوَيْلٌ  
لَهُ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢) » وَقَوْلُهُ - « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا  
أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَمَلٌ عَظِيمٌ (٣) »

فَهَذِهِ آيَاتُ بَيِّنَةِ الدَّلَالَةِ وَاضِحَةِ الْأَعْرَاضِ ، تَوْكِيدٌ لِمَا فِي الرِّسَالَةِ  
الْجَدِيدَةِ قَدْ فَصَّلْتُ حَيَاةَ الثَّانِيَةِ  
وَأَزَاءَ هَذِهِ الْآيَاتِ آيَاتٌ أُخْرَى تَخَصُّ أَمْرًا عَلَى طَلَبِ الْمَعَاشِ وَالسَّعْيِ  
وَرَاءَ الرِّزْقِ كَقَوْلِهِ :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمٍ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى

(١) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ٢٦٥

(٢) سُورَةُ التَّائِبِينَ ٩

(٣) سُورَةُ التَّنَابُخِ ١٥



ذكر الله ودروا ايع ذا كخف سكم ان كنه تعلمون . فدا  
 قضيت الصلاة فانشروا في الارض وشعوا من فضل الله كثيرا  
 لعلمكم تعلمون (١) وقوله . « فقتل في سب الله لا تكلف الا  
 نفسك وحرص المؤمنين على الله نيكف بأمر الدين كفروا  
 والله اشد بأسا وشد تسكيلا (٢) » وقوله . « يا ايها الذين آمنوا لا  
 تحرموا طيب ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين  
 وكونوا مدبر فكأنه حلالا حيبا واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون (٣) »  
 وليس بين هذه الآيات شيء من التناقض ، لان الدعاة لاسلامية وان فصلت الحياة  
 الثانية فهي لم تشر الى لا تعداد عن الاولى والصكوف على التام والبركة . وحير  
 مثال على ذلك حياة النبي معه فقد كانت مريحا من لهد والتشم بما  
 حلل الله

كانت الدعوة كثر ملقا بالروح في عهدنا المبكي ، وكانت تحاول  
 ان تفرد لاسان عن حصة لتعاضب فيه القسم الحساس الروحي . ولكن  
 الامنية التي حل بها اسي لم تحقق ، ولم يقبل المكيون الرسالة الجديدة ، ولم  
 يقابلوها الا بالسخط والثبات ، لانهما حادت لتظهر الضلال الذي هم فيه  
 يهيمون ، حادت نقول لهم ان حياتهم على ما هي عليه من ترف ورفاهية لا  
 تساوي حياة الناسكين المتقشرين لاهم سيعون أحلا بما حل وبصلون قليلا

- |     |              |       |
|-----|--------------|-------|
| (١) | سورة النساء  | ٨٤    |
| (٢) | سورة المائدة | ٨٨-٨٧ |
| (٣) | سورة الجمعة  | ١٠-٨  |



قبيل وفاته ، وقد وقع بين تلك الجموع هو مواعظ زعيم قد قومه الى اعدائه  
انني كان برمي ليها ، فهو وزير العبيد يشهد دقه و الناس على قيده بواجبه  
حق قيامة ، ويوصي حجاج بعض لوصا ، اني لا بد منها تنخص في عالم  
الفراس وتحدد للمؤمنين علاقه امرد ، امرد الاخر ، وتزوج بوجه ، لا من  
مديان « ايها الناس ، انؤمنوا بآله ولا يحل لامرئ ان يل احبه لا عن  
حبيب نفس منه ، لا من ، من في الاله فاشهد له » ونقول : « ايها الناس !  
ان دعاءكم ، انكم حره عبيدكم ، ان يقولوا لكم ، كحرمة بكم  
هد ، في شهر كهد ، في ملك كهد ، « قور » « الا ترجم من مدي كفارة  
يصبر بكم ، وفان بكم ، في قد ترك بكم ، راحته بكم  
تصبر بكم ، كهد ، لا هل بكم في ثلث فاشهد له ! »

وقد تدبر في هذه حكمة حارسة لدعوة خادمة ، تروى من  
نخص على ا ، عاصرت امة في ، وتول مر ، عليه حارة  
والاستعداد للموت ، ايس فيه ، في كتيه ، وفي من خص على صلب  
لقد اذ احياة ، بعض لرمي على ا ، في سرعه الراحبة في ، انتم في  
السور امكية ، بعضه شجرة ، في ، في شعرت حور على سواه ، يوم  
يق من امرت لاسلامية ، لاسلام ، لاسلام ، لاسلامية في مكة  
وترب وتعلم ، القديس صوي امره جد هو ، ربح على لمادة  
و لكن العرب بكم ، وان حو به في في شدة في لاني ، في كهد  
بذهب انني ي ربه حتى حاله بعض القائل رجوع في سابق عهد ، في  
سكان حروب لودة ، في كان تنصر لاني ، في كهد ، في

الاسلام . وكان لا بد العرف من ان يحدثه نفسه بالانتفاص على الذين اخذوا  
 عند ما يشعر بقوة الكافية . لذلك نرى س مديري امور لديانة حاولوا  
 صرف اليهود التي كانت معقها البدوي في عرب حارة في حذلية ، التي  
 سيقها في الثورة على الشريعة ، الى اعتنح - وانها الوسيلة الوحيدة التي  
 تجمع بين عرب حارة ، وتقيده اميا لديه ، عقده ، ودد رايوس الفاتحة  
 لتداعية العريفة بعد الانتهاء من الانتصار على امر اردة في  
 ايام النبي يسكر

ولم يكن هؤلاء حدود الذين يريدون بلع مما كنفي لا كسرة والروم  
 شيء من لاسطة الحسكة التي اتخذها ها هي بعد . وخيفة لا علم  
 عدد احد لار لانتظم في احدة م يكن من الوحد م فحدثي  
 يتكهن بامر معاشه ، ولا زال من اخر سوى ما ناله . ورنه بعد صيته .  
 ولكن عمر كان اكبر تجميع الامور فحدثت له . بين في نشوء ، احدثت  
 الجيوش لخدمة في اظهر ، عرضت لها الارزق ، وكان اخذني بذهب  
 الى حرب ثم يعود منها بظام . ولكن ذلك التطور الذي سر ايده العرب  
 لم يعد شيئا من اثمهم

اهل المؤمنين اخفيقون على اعتقادهم من لا يعرفه بل ولا بعدهم  
 اعد ، فاعاش اخفاء عيشة اسوفة ، افقر ، فكل من كثر يرتق من  
 استعمال ما كره وعمل يده ، وقد حل مدة ستة اشهر بعد خلافته وهو على  
 حاله تلك ، لا يعق على نفسه من بيت مال بسعين شمساً . فاصححت  
 يوم وعلى ساعده يرد ، هو ذهب الى اسوق . وفيه عمر فقال : من تريد؟  
 قال : الى السوق . قال : نصنع مد وقد هبت ام المصير ؟ قال : من  
 اين طعمه عيالي ؟ فقال : اطلق عرضك انك ذو عمدة امه بيت مال

هنا ذهب به قال . . . فمن في قوت رجل من المهاجرين يس باصلهم ولا  
او كسهم ، و كسوة اثناء ، و اعيف ، اذا احتقت شيئا رددته و حدث غيره .  
فعرض له كل يوم صفة شاة و ما كساه في رأس ، الطرس ( ١ ) . ثم يتعبد  
أبو بكر بهذه الحجة و حده من شراكه فيها فيما بعد عمر بن الخطاب الذي قتر  
على نفسه و عياله حق غاب عنه له من ذلك . و سمع هي طريقتهما في الحياة ،  
واقواله في الرعدة ، تنعصر الفقراء ، و عرض على حياة ذلك به شهورة ، لا تحصل  
لله كرها

فادانطور لا حور ، و كان من الضروري صرف العرب الى حياة  
تستند جميع فروعهم ، و جهودهم ركبي لا به كره في العودة الى حياة البداوة  
و ما فيه من تقاسم ، و صاء ، قال لاسلام ، و تحليه الرئيسية من تنقيدهم و هم تطورا  
هطن امام عيهم من على لا يسمه الحمد ، و ان لا يدر كره لشعاعة ان توصل  
ايه صاة لصلاح و اتقى و خوف من افه ، و قد هي من يبط يستهن حلاقته  
في مسعين محطة لا ذكر فيه لعمومات العربية ، و قد تحاول من تعبد  
بمفعول ، و لتروية الى حطيرة الدين « ١٠٠ » فانما يتعبد ناس منهم ،  
انق ، و عباد لله في عاده ، و ولاده ، و كره مسؤولون حتى عن القناع و البهائم ،  
و طمعو لله عز و جل ، و لا تعصوه ، و ادا رأتم خير فعبدوه ، و ادا رأتم  
الشرك فادعوه ، و ادا كره ادا منه فيبل مستصحبون في الارض » .

و كثير من من العرب قد جمعوا الاموال الكثيرة من الفتوحات و لاسلاب  
و حد هؤلاء يؤمرون طائفة خاصة من الاعبياء ، و دسها ان ، و عدها الحمد  
الديوي ، و هي د تحذف الربعة اربعة انقي برعت مع الاسلام في مكة

ورافقته في شأته وانتقاله الى عهد الحيتين الاولين . . . محمد بن قيس  
المشهور « كونه زهير » الى اعضاء بعض الثروات في تلك الايام . . . مع الاملايين  
من الدرهم . . . ولا ينظر ان المؤمنين لصادقين قد قاموا هذه التحسين في معاشهم  
بالصحة والتسليم ، ان حالوا الثورة على الاعتياء . . . وثقته الحكومة التي  
بدأت في جمع اهل وحماه لاعداد الحيوث في اخرهم . . . لا يلقى على نصرة  
والشرطة . . . ولا شك في ان حادثة الي در مع معاشه عند كره . . . على  
الشام تطورتنا بوضوح متعاضد اساس من السياسة الجديدة . . . ( ١ )

فقد تعود المسلمون في معنى المساواة في الثروة ، فرص لا من من  
الواحات على المعنى لاجله معتبر ، وعوده ان فتسوا ، الى اجرة لانها  
وزق هم كما شار الى ذلك اسبي في حياته . . . كان هو در . . . هو من معاصري  
النبي من اكثر اساس صلاحاً ، تقى ، نفساً ، لا يحب لاساك ولا يمين  
الى الادجار ، فدرج الى الشاء مع البارعين ، وكانت ، لا معاشه . . .  
فأعنه مار ، في الواي من معتبر على المسلمين ، حرمه ادر في حرسه لولاية  
نامم ( مال الله ) ، لا من لاجد حق به . . . ان هو ليعقر . . . تصور من . . .  
فجاء ابو در معاشه نجاحه في الامر ، بحال اذ رقة مع رفاق ، مدخر من الاول . . .  
فلم يذعن لوي سكلامه ، لان عدته من لمار تعابر ، عنة صاحب لصالح ،  
فخرج هو در من مقابلته وهو حقيق عليه ، فقاء في الشام يقين : . . . معاش  
الاعتياء واسوا ، امقر ، شر الذين يكره من الذهب ، الفضة ، لا يعقوها في  
صيل الله سكلامه من در . . . كوى بها صاحب ، محوسهم وطهور ، ان لى في  
مثل هذا الكلام حتى ، لم انقر . . . به وبد . . . بطهرون بعض لامتصاص من



ذلك عهد صحاب الامر في الشام . وكان ذلك العهد عهد انتصار للوحدة  
 العامة ، وعهد اندحار شديد للعنة التي جاء الاسلام لاجلها  
 وكاد الدين ينتقل من العاص الى اللسان يوم يتخبط لشعلة الروحانية نور  
 خشين من الخوارج الذين عاؤ في روحانيتهم كما عاؤوا في برعهم السياسية ،  
 ولو يظهر الحسن البصري في ذلك حيا اخوف من الحساب والعقاب واعاد  
 ازهد التتشف في ساق عهده ، وربع عهده ما علق به من قدر المادة وعقله  
 وبعده المستوصفين

ولا نلظ ان حميم اسلمين في ذلك العهد كانوا قد ذهبا عن واحبهم  
 الدين ، وان ذهبت احدى الفرق ما انقل بان لا يمان ثم لاقرار القلي  
 دون القيام بالواجبات الدينية . ولكن حفاة المرفة الناعمة تحدد مع الاسان  
 ون كل على شيء كثير من الاعاء . ليس الا من ظهور رحن وهو  
 هو في لاردة ، يعرف عن المذب ، كما في الدين شمع مبع ومان  
 صادق يبرع ما في قلوب معاصريه من استسلام للاهواء ، وهم تتجمل الطبيعة  
 ذلك لا في شخصه الحسن البصري البوني لاص . كما يرغم السحواي  
 للدين على الدين الاسلامي . فوهته حمة دامة ، وصاحبة دودة ، ثوري  
 فصاحة الخجاج ، وعقيدة صادقة ، عدما حقا . تخدد عهد خوف من لعالم  
 ثني ، دهم في ذلك مراً من الناس المترددس بين حشونة والبن ، بين  
 المادة والدين ، الى ان يشابعوه . بهكموا عكوفه على شعد . فقد استيقظ  
 مصر حبرن حسن في احدى الليالي عند سماعهم مكاه . ولوه «ما بك؟  
 قال أحشى ان اكون قد قلت ما لا يرصني فقه ، ما سارت قدماي على رحن



بحسب « . وقد كان يقف بين الناس واعطاك يقول بسان الله : « اد كان  
 طاب عني عدي لا تستعالي بي حملت بعيه ولذته لي دكري . « اذا حملت  
 بعيه لي دكري عشقي وعشقتي . « وقد عشقي وعشقتي رفعت لحجاب بيخي  
 وبيعه . « حشرت معدن بين عبيه لا يسبه اذا سبها الناس . . « اوثك لابطل  
 حقا . « ثك ادين د ادب رهن الارض عقوبة وعدة د كرتهم مصرفت  
 « ذلك عنهم »

« د نمتد هر لرحن لبر مؤمن الروحاني الذي يصفي بيله لي لصلاح وذكور  
 « هو لاس . « بحسب لفس . « حره ع المماضي ودهها الي صالح الاعمال  
 « حيرها « هذا برح ندي لا ترى عيناها من مطامر الدنيا سوى ساح باهتة «  
 « خطوط مرعشة « فكاهة سماع مرهف « مصر حديد في لفس . . « ونظنا  
 « حناهم لمرقبين لفس عرقوب في ون « نهدي ااصاح من الكسكس والقيان  
 « والصا « الام « اشعر « ندرت لتطود السرهم الذي سارابه لدين لاسلامي .  
 « ليس في هاتين الساحتين من حيرة نبي من المودة والازن « واما هات  
 « حوس « مدبه رجافة يكاد يطير على جميع العقول « وهات عفاضة وبقين  
 « يزفت شمسهما عند الحسن المصري . »





في عييه ، وكان يحفظ النوى في يساره ، فعمرت شاة ، وشار إليها بسوى ،  
 فجعلت تأكل من كعبه اليسرى . هو : كل يمينه حتى فرع و عرفت  
 الشاة ( ١ ) .

فان من الاسباب التي دعت الى شوه التصوف د : لاقتد : بحياة رسول  
 وبنايه اثر الفقر والزهدي في الدنيا ، فان متصوفين قد فعلوا ذلك ، حرره في  
 ترجمته ، فقد ادر كواحق الادراك من صفات النبي . الاحاديث التي نقلت عنه  
 والآيات القرآنية ان الدين الحقيقي هو في الفقر وليس في امس . قد كاد  
 يتناقضون حديثاً طريفاً رواه ابن عباس قال : خرج رسول الله ( ص ) ذات  
 يوم وحبر من معه ، فصعد على الصفا . فقال له النبي ( ص ) : يا حبرين !  
 والذي بعثك باحق ما امسى لآل محمد كف سويق ولا سمه دقيق . فلم يكن  
 كلامه يسرع من ان يسجع هدنة من اساء . فطعته . فقال رسول الله ( ص ) :  
 امر الله القامة ان تقوم ؟ قال : لا . لكن هذا اسرائيل عليه السلام ،  
 قد نزل اليك حين سمع كلامك . فانه اسرائيل فقال : ب الله عز وجل  
 سمع ما ذكرت . فمضى بمناجيع الارض ومروني ن اعرض عليك ن احدث  
 ان اصير ملك حال تهامة زموذ وبافوتنا ودهنا فعت . وان شئت بيك مسكا  
 وان شئت نبياً عدداً . فادماً اليه حبريل ن تواصم فة . فقال الرسول ( ص ) :  
 جيداً ثلاثاً ( ٢ )

فاطر الى هذه الاحاديث التي عمدها اليها المتشبهون ليقضوا بعض الغصاة  
 على الدرجة الديوية التي ترائق شؤ الحكومات وقيام الحصارات وانتشار الاموال

( ١ ) النزالي احياء علوم الدين ج ٢ ص ٣٢٨

( ٢ ) راجع الاحياء ج ٤ ص ١٩٣

وذئوع الرقيق ودحول المعاصر الاحية .

فقد ما كان يعدد المعاصرون الى شراهم وفصمهم ، لم يورثهم يعددون بها  
الشقة بينهم وبين دينهم كان يؤمنون الصادقون يعددون الى حياة الرسول  
وصحبه فيستوثقونها في الناس ويروون عنهم الاحداث ولا حصار التي تخص على  
الفقر وتسمى عن المعنى .

وكانت اعثة الاولى في مجموعها تعصت اشدية لديها ، فاد بالمدينة  
العاصمة ككل المدينت (المسجد وحديقة ، وقاري ، وزار - ومتحدث يرتقب  
المعبر ، ومصطوح في عدد ثقل ، وساهر في نهج وساهر في طرب . وتعد  
من حي ومسكنة من ملاق . وشك في دين ، وبار في ملين . كل هذا كان  
في العصر العاصي ، وكل هذا كان كثيراً (١) »

٢ المليون .

كانت العاطفة الدينية ترداد في بعض المصادر قوة كلما رداد الناس في  
هيشهم . ودا بالحياة ناحية العاشة نفسها تصح سباً من الاسباب التي دعت  
الى شؤ اندس الصوفي و تقشاره . ودا بالماسين اعلمهم يهتمون حياتهم في  
كثير من الاحيان بالرجوع الى حياة التقشف والزهد . وذ مار حيا حياة  
كثيرين من الشيوخ الصوفيين الذين اشتهروا بالتقوى واتباع المقامات لرى  
انهم بدأوا حياتهم بشي . كثير من المليون واعقوا قديما كثيراً منها في التهلكة  
واتباع مقاديرهم .

وقد كان هؤلاء المتبعون المقرون للمليون في عقولهم وفجورهم يصحون  
من سكرهم الارضي ويتسائلون عن عاينهم في العام ، يدر كون انها ليست

في الكاس . تقرب من لقائن والتفتع بين ، لان هذه اللفة ليست عامة  
 للاسنان ، فهي دية داخلة ، لا تصمد على مرور السنين . فكأوا يندفعون  
 الى قنات مما كس للعبادة ، نخدمهم اليه عاطفة حمية في انهماق بدوسهم ، قد  
 تكون الروحانية لاسلامية ككافة في التصير لرفد ، وقد تكون التعطش  
 الى الله في الذي مصر عليه كل نفس حساسة ، وقد تكون رغبة فلسفية  
 عميقة ككافة تفتت بعد شعارب الجهاد . فينتج كل هذه شيئاً مدعوه لزهد  
 رقة ، تصوف رقة جري ، وليس بين هذين القطبين ابراهيميين اختلاف  
 كبير ، وى يفرق في بعض مظاهر خارجية كالثوب والدعوات والاصوات  
 والادعان لارادة شيخ ، الشطح .

وقد كان هذه دقة التي هتفت الى طريق الحق ، ودركت ما بين  
 حيزي حصره . - فقه من مراقي . كات تأخذ على عاتقها  
 دمه لا تشدد ولا صلاح ، ودمه - في حطية ، - امسقي واعطاك ، والعفي  
 د ر . هم الله . دعيت هذه حركتها التشرية . ديوعاً عطية في اواخر  
 تقرب شاي شعري . لم تقتصر احط بالدية على الجمع في ، فاقاتها لميسة ،  
 وى مدتها الى اخلاقي . لاسواق ، يفوق حطية في الجموع مرشداً مؤسراً  
 ان من حثاً المؤمنين على متاعه طرؤ . صلاحاً مهدداً بالعقاب والحجيم . فقد  
 صر محمود الصوفي ، كبرفة ، نادى . تقف في اسواق على رحل يدعى السماك ،  
 هو يعط الناس ، يقول في معرض كلامه : اس عزم عن الله بكايته اعرض  
 لله عنه حيلة . ومن امن على الله نفسه قل لله يرحمه اليه ر ) « واما قال  
 السماك كثيرون .

وذا أدت ان تتمثل المصير المحوفي والمنصر الزهدي الصوفي البديين  
 كلانا مكمولان الحياة في الحصار الماسية عليك بطلانة كتاب الاغاني  
 طقات ان سعد ورسالة انشيري في وقوت القلوب في هذه الكتب كهيئة  
 برسم صورة واضحة للمجان والتصوفين .

### ٣ - العلوم والفرق

ولم يكن اثر الفرق والعلوم التي دخلت الاسلام اقل من الترف في التعاق  
 للدينيين حول دينهم . فقد تعلم العربية كثيرون من الروم والمسيحيين والعرب  
 والاسريين وغيرهم . ولولا علم وحضارة في الحروب ان يعزوها الى الوجود وان  
 منخرت العرب بها وبأحدوها سبلا الكتب العيش واعلاء الشأن . واحمد  
 عرب تشوقون الى العلم ، وبدأوا يظفرون الى الكتب نظرات تتراوح بين  
 لاعتقاد لمثل : الاتحاد الصريح . واخذوا يجتهدون في تفسير الآيات تفسيراً  
 يوفق عقائد في الحياة .

فحدثت في الاسلام فرق تنفق في الاصول ويختلف في المروء . واشهر  
 هذه الفرق في اول عهد الاسلام هي الخوارج . الشيعة . لمحنة ولعنة والسنة .

### ١ - الخوارج

نشأوا بعد وقعة صفين بين معاوية وعبيد بن جراح . وبعد قبول ابن ابي طالب بالتحكيم  
 . ثم الذين دبروا . كهيئة قتله . فصرعه عند الرحمن بن ملجم الخارجي .  
 اما تعاليمهم فقد بدأت حول الخلافة في اول الامر . فقالوا يجب ان  
 يكون باختيار حر من المسلمين ، واداء اختيار خليفة فلا يصح ان يشاغل او  
 يحكم . وليس ضروري ان يكون خليفة قرشياً . ثم مرحوا تعاليمهم بشيء .

من الملاهوت ودينك عند تجديدهم لايمان فقالوا : يا العبد يا مؤمن بالله من صلاة وصيام وصدق وعدل حرة من الايمان . وليس للايمان الاعتقاد وحده . فمن اعتقد ان لا اله الا الله ، ثم بعد ذلك رسول الله ، لم يعمل بمروءة الدين وارتكب الكبائر فهو كافر .

وقسم الخوارج في عرق لكل واحد من . تعاليم حقه فتمتاز بها عن سواها . منها لازمة : اساع ربيع بن لاروق ، ولحدائق : اساع بخدة : عامر ، والاباضية : الصعيرة . وتولت تعاليمها ابيسية ، والدينية : الشيعة الى تعاليم لاهوتية فلسفية .

### ب ) - الشيعة :

تتصعب علي ، وترغم به ، الى اهل البيت بالخلافة . ثم تحولت الى اعتقاد جديد كما يرى بن حيدون ، فاعتقدت ان الامامة من مصالح العامة التي لا تقوم من نظر الامة ، وتعتبر القائمة بتعيينهم ، بل هي ركن الدين وقاعدة الاسلام . ولا يجوز لغير اهل البيت ولا لغيرها ان يلقوا بها . بل يجب عليه تعيين امام له ، ويكون معصوماً من الكبائر والصغائر ، وان عسك هو الذي عليه النبي . ويستشهدون على ذلك بحديث نطعن فيها غيرهم ، وتأولوا ، فاصح علي في اعتقادهم وصيكا - اي اوصي ابيه بالخلافة . ومن هنا نشأت عصبة الامام ، وتفصيل علي على اهل البيت الراشدين وحمله في امته مكان من الجنة . ونظر علاقة الشيعة الى علي كما ينظرون الى نصف الله . فقد روى الشهرستاني انهم اليوم ، ورغموا انه قد حل فيه جزء الهي اتحد بجسده ، وبه كان يعلم العيب ، وانه قد يظهر في بعض الازمان . بعد ان كانت الشيعة في اولها حركاً سياسياً يرمي في علي الكفاءة للخلافة ، فتحولت الى مدعي



لا هو في محتاج الى الدينونة لآخرى ولى العسفة لازمة بعباده والصال  
دونها

### (ج) - مرحلة

شأن شاة سياسية محاسدة • يدعي انه من • مرحلة لايم مرحلون  
الحكم على سبب خصاء الى يوم الحشر • كانوا مسلمين لا يكفرون احدآ  
ولا يبايكون حرآ • لا يسمكون دما • تمتحوون من المساسة الى الدين  
واللاهوت • فقالوا ان الاحد هو معرفة الله ورسله • في ذلك رد على الخوارج  
القائمين بالاعمال هذا • يدعي السمة الذين يعتقدون ان الايمان بالامام  
والطاعة له شرط من الايمان • يعني يعتقد « ان لايمان بقدر القلب و ان  
اعلان الكفر بالناس • عدت الاوثان • دمرت اليهودية والنصرانية وعبد الصليب  
واعلى الثواب • فمن مات على هذه حياه فهو مؤمن كامل الايمان عند الله (٢)  
د - المعترلة :

مدعوها المؤرخون صفا لاندريه • شأن من اقرآن وثباته عند ما  
يشكلم عن الحشر والاختيار • أمسيرون نحن ام يحيدون ؟ هل نحن للذين يوحد  
اعمالنا في هذا العالم وحاسب عليها في العالم الثاني • ام اساسير حسب شريعة  
مستورة • فلا دس بنا يعاقب عليه يوم الحساب ؟  
لم بعض اقرآن هذه المسألة بل اردادت تعقيداً عندما وجد فيه الباحثون  
آيات تشعروهم بان الاساس مسير يحير على اطاعة قانون لا يصل اليه ادراكه  
ووحدها فيه آيات تحالف هذه وتظهر لهم ان الانسان حر في تصرفه مسؤول

(١) كانوا يوالون الامويين سرأ

(٢) ابن حزم الفصل

عن حرارته و زامه بحاسب في يوم الدين . فحاربت الجمعية رأيي الاول  
و معتزة الرأي الثاني . و تقدر ان تحصن مذهبهم بما يلي :

اولا : التقديرية - ردوا على الذين يقولون ان الله يكتب لكل انسان  
اعماله ثم ياقفه في لآخره . فقالوا ان الصد قادر حقيق لاعماله خيرها و شرها  
- حق على ما يفعل . و ما وعقا . و لله مبدء من ان يضاف اليه شر و ظلم لانه  
لو حق الظلم كان ظالما كمالو حقيق العدل كان عادلا .

ثانيا : - الله جيد . هو الصفات التي حاول بعضهم ان يصفوها بالله  
و يعمدوا له حسب كبحهم لاسان فعالو . هو عام بداته ، فساد بداته ، حي  
بدته ، لا نعم و قدرة و حياة . لان هذه الصفات اذا شاركت في القدم  
شاركت في الالوهية .

ثالثا : و اعتقدوا على ان المؤمن اذا خرج من الدنيا على طاعة و توبة  
استحق الثواب . و اذا خرج من غير توبة عن كبيرة و سكبها ستحق الخلود  
في النار . و لكن عقابه يكون اضعف من عقاب الكفار . و يرجع هذا الرأي  
الى اساس المعربة و شأنها .

رابعا : - و اتفقوا على ان كلام الله محدث محقق . و على رأي رؤية  
الله بالانصار في دار القرار .

( هـ ) - السنة .

اصحاب هذه الفرقة هم عامة مسلمين الذين لم يدخلوا الدين في ديبهم  
و لم يحاروا انفرق الاخرى في الشروح العلمية . و لكنهم لم يشاروا على هذه  
خطة فتحولوا بعد حين من الزمن الى جدل افلاطون و سقراط و ارسطو ياضون  
بها عن الشريعة لاصلاميه . يقطعون حائل الفرق الخارجة . و يقعون في

## وجه الفلاسفة

ولا يريدون شبر في هذه الخلاصة في اللفاظ العديدة التي نحتت فيها  
 السنة ٤٠٠ الى النوع الرابعين اني عمدت اليها ٤٠٠ الى اصحابها ونرجح حياتهم ٤٠٠  
 كلاسيري وايضا ي و اعزالي ٠ فان كل ما يريد اثباته في هذه الكلمة  
 هو ان السنة عسب ٤٠٠ نجح من لار لاجبي ٠ فاما النظريات الدقيقة التي  
 امتازت بها فلسفة اليونانية قبل سقراط تنعش في براعيتهم ٤٠٠ ما يريدون  
 اثبات حدوث المادة ٤٠٠ ادسه يستعملون في ذلك نظرية طوهر اورد ٤٠٠ يكي  
 ان يدكر ان ٤٠٠ ين تنعش ٤٠٠ وعده اكلاء ٤٠٠ ادله ٤٠٠ حق في لاسكام  
 اللدنية ٤٠٠ سنة دل من آل من ٤٠٠ مكرين مسلمين ناقض ٤٠٠ وجودت الى  
 ثلاثة اقسام ٤٠٠ وح ٤٠٠ ممكن ٤٠٠ مستحيل ٤٠٠ وليس ذلك ليتوصلوا الى برهان  
 ابن سينا القائل بامكان لوجود صفة نضاف الى مادة ٤٠٠ بل ليشتملوا خلاف  
 رأي الرئيس ٤٠٠ يقولون ان الله محدب لانه ممكن لوجوده ٤٠٠ الا بدله ٤٠٠ من  
 واجب لوجوده يكون غلة لوجوده ٤٠٠

.....

أشهرت كل هذه الفرق ٤٠٠ فتمزع منها من يقول ٤٠٠ ورع اماه العسية  
 في كل ممكن ٤٠٠ وكب ٤٠٠ من سب على مسائل العقلية ٤٠٠ شحوص  
 توسطتها ٤٠٠ حل لغز العالم ٤٠٠ سرره ٤٠٠ فحاف ليدور على ٤٠٠ ٤٠٠ در كوا  
 ان العقل اذا سيطر على ٤٠٠ ليس ٤٠٠ يهده ٤٠٠ لا يقضي ٤٠٠ ثر ٤٠٠ ٤٠٠ من صدق  
 الايمان ٤٠٠ التسليم ٤٠٠ رأو ٤٠٠ مسير انفسه ٤٠٠ مبحرون ٤٠٠ ماضية ٤٠٠ اثبات مسائل  
 الدين بالمنطق والعقل ٤٠٠

ولمدا لا يؤلف لتصوف عرفه مستقلة ٤٠٠ امينة للعصبة ٤٠٠ بعيدة عن العلم  
 السجين والمنطق لاجبي والتأويل هدم ٤٠٠ وماذا لا يؤمنون (فرقة فسميه) ٤٠٠



نفسه و زئول اشريعين لمحمد بن الحنفية من عبي . فعاد امويون الى  
الويع و لا انتظار و يد لسل عن صدورهم يريشها هم نصاسيون بعد ان كانوا  
بالساعة الا ان لهم في هدم حكومة الاموية

وقعت اشيعيون عندئذ في صدورهم برعتان مختلفتان : منهم من يشن من  
بوصور ان رهاق الناصر و حقائق حق لا تراه هذه لتكشف و انتصوف  
و منهم من م يشن دله من فضل مشرأ على عزمه ، فالت الحفيمات اسرية  
لعمده التي ترمي في صدرها في عرض دسي و عجي ، و في رطها الى  
بصرة حدود عي

واد بعدا اعطى في كنه فرق والحق التي شئت في الاسلام ترى  
ان النوة التي شئت حود نكاد يكون واحدة . هي الشيعة . ولا شك في  
ان كنه هذه امروق بعدا . كنه ونفيسة هي حمية حور الصفاء التي تم  
تطامها ، بعب و حها ، و صحت فكرها في منتصف القرن الرابع الهجري .  
عالم هذه الجمعية زعماء تدعيه من ان عبتها هي نشر العلوم و سوير العقول  
و انقاف شباب عي حقائق الامور و هي دون شك عبوية شبيهة ترمي الى عرض  
سياسي هدام .

وان الذي يرحم لندبسا بر الشيعة في الصدفة هو ما يراه بينها من شبه  
عظيم . فالاولى تمتد بالاماء الذي يحمل الحقيقة ، والثانية تؤمن بالقطب  
و الذي يعرف سر الامرز . وقد نعى ابن عربي في الدويون الا كبر بهاتين  
الشخصيتين اللتين مكادان يؤلمان شخصية واحدة . كل منهما أثرت في غالب  
الاجيان الزهد . حما امرها عن العامة .

## ٤ الرهبانية المسيحية .

عند ما خرجت الرسالة الاسلامية من مهدها واقتشرت في شام وارس  
كانت المسيحية قد تقدمتها بقرون . وكانت العاطفة الدينية قد تعلقات في  
الصدور فبدلت النعوس والعقول ، ودرعت في السوريين حصة حب اخذوا  
اللاهوتي والخورنسمي ، فقامت لمساكنات الكلامية مسير الكلامية  
بين اصحاب الطبيعة واحدة واصحاب الطبيعة ، واصحاب الطبيعة لواحده  
في طبيعتين . قسم مسيحيون الى فرق كـ قسم السلمون اما بعد ، دخل  
المسيحية مزيج من مذاهب ايونانيين والاسكندرانيين كـ رجل ذلك يصا  
الاسلام في الحضارة الباسية .

وكانت نتيجة هذا الانقسام تحول كثيرين من رجال الدين لورعين  
الذين يدركون ان مثال هذه المحاورات لا تروى قليلا . لانتبت بقيت  
الى حياة التقشف ، ثم انهم . فقامت لاديار في القرن خامس مسيحي في مصر  
ثم انشئت ثلث البوغة اربعة اية انشأوا عظمى في لافشار العربية ، في جميع  
اقسام سوريا وفي العراق وحدود فارس . وادى يوحنا الافامي ( القرب  
السادس ) بروي لثلاثة ثقب اعلموه ووقف على دور الدين وحد السيرة  
الرهبانية في احد الاديار العديدة التي قامت قرب البهر اعاصي . فقام ورعا  
مفتقما والى ثلاثة كتب في التقدير الروحي وبيان اسس و كمال ا .  
ما اديار فارس وهي شهيرة ، الكبر شهوها مارون « Maronite » .  
فكان يرويه لمسافرون ، ويقصده برصى قندوي ، ويعيش فيه لرهبا

مترهدين قاصين بافيل . وقد حاول الاعياء لامتداء شبكة شيرين فسو  
كثيراً من الاديار . فقام قرب قرية مار-تاديوس مار-صونييل وفيه اربعون  
راهباً . وعلى مقربة منه قلة دير باردس « Nardas » وفيه سبعون راهباً (١)  
ثم ينقطع هؤلاء رهاً عن امام غلام لاقطاعاً لالاه كاهن يشنون  
الدرس ويديرون العمارة بين احوال . وكرر ذلك في جميع من حوزة انشقاق  
فكانوا يصومون ويقضون يومهم رمة افسه . يمتدون كل قسم منها بالصلاة  
ويصومون عند منتصف الليل . عند امجر للصلاة كما يصوم تصومون .  
يقومون بكل ذلك ريمان صادق فيصرعون في الله وعبودهم معروفة بالمدح  
وكانت الاعشاب التي يركبون عليها محفورة بكثرة سجودهم وانصرعهم .  
وقد نجد بين هؤلاء من سبق به لدير فيمارده . في اصغر رهاً لا يمتد  
شيئاً من شاع الدنيا . يقتات من الاعشاب التي يصادها في صرقه . ستار  
حور عريب يشق عليه . تنوكل على فله في جميع اموره

حاشا لاسلامه . انه يرى الاديار قديمة . رهاً وشوحدين يصبرون  
الى ربهم ويصومون ديامهم آخرتهم . هل تقدر ان تقول ان التصوف العربي  
لم يتأثر بهذه الربعة رهاية لمسيحية ؟

ربما ان نعتقد ان تأثير سلطنة التصوف سلافي في شانه .  
تأثر في مطاهره في اول امره برهاية المسيحية . وقد وجدنا في  
والشكايا تشابه . والتصوفين سجوداً في عسده . داراسلم بصبي كثر  
مما عرض عليه ديه . انه سهر في الليل وتبهد . سكي عند ذكر الله

(١) راجع F . Nau les arabes chrétiens de Mésopotamie et de Syrie du VII au VIII siècle p . 17

شوقا اليه . خوفا منه . وسري في أصل حر لآثر لمسيحي في التصوف  
العربي .

.....

ان ما يريد ان يتوصل اليه في هذا الفصل هو ان التصوف عند المتابع  
والاعراض منه ما كان مثلاً بحياة لبي والصالحين ، ومنه ما كان رد على  
ترويض الحياة ، ومنه ما كان طريقاً وضحايا ومع الحق ، ومنه ما كانت  
الطرق ، ومنه ما كان المتكلمون ، ومنه ما كان صوابه ، ومنه ما كان شيعيا  
في ادعائه للامر ، وفي توريث الصامتة في مدته حاشية . ومنه ما  
كان قداء بحياة لرهان ، سيجين .

والكن هذه العناصر العديدة ، فالحاج ، فمعرفة لم توجد مدتها صديقا  
وحد . مما كانت اسما لشيء فرق وجماعات عديدة . ما قصها ، قرنها الى  
الدين الصحيح وهي التي شئت عن السب لاول وفاتت على العاصفة الدينية  
الحساسة ، واتخذت عن المادة ، تطورت بالاخلاق الحسنة . ( لان هذه الفئة  
يعتقد ان كل علم لا يوفق الكتاب ، السنة ، وليس مستعاد منها ، وميسا  
بني فهدى . . . . . اليها فهو رديلة ) .





أن يطل بعيداً عن تلك الصيول الحارفة التي طغت على عقول المسلمين ،  
 فإذا بالتصوفين أنفسهم اصحاب لايمان واثقين لديني ، أصحاب لمخاطبة  
 والموحد ، يستمعون بحوارين اسكندي والفارسي ، ولارابي وابن سينا ليشتوا  
 تلك الموحدة ويقرروا معتقاداتهم رقة وصعته وقدمه وحجته العالم

وبعد ان كان المتصوف يعرف بوجود ربه لانه يشعر به هاهنا وهناك في دحي  
 يدفعه الى مثل هذا الاقرار ، حدد الحيد يقول : « ما يحتاج به احد  
 من عقد الحكمة معرفة الله ، صاعده ، والحدوث كبر حدته ، يعرف  
 صفة خالق من الخلق ، صفة شدي من الخلق ، وادى لدعوته ، يعرف  
 بوجود صاعته . فان لم يعرف الله ، يعرف ذلك من صناعته ( ١ ) »  
 ما لم يعرف موضوع صاعته فهم من مبادئ المعرفة لا مئة ، وما لم  
 يعرف كيف كان ذلك الصاع ، كيف هو ، يستخرج ذلك لهات  
 المواقفه للصانع ليتوصل الى حبه وهادي مدفعه في الطاعة ، لا دعاء ، لا عتاف  
 بقدرته لله . . . فليس في حدسي ، كنه ، فان من الصاعده صواعده ،  
 وانما اصبح الحيد ، هو دمر « ينشأ كونه في ربه كونه » اكلا . . .  
 اسألو في العسفة لاشرفه ، « بمحمود ، ما سأل في دين لا ، طاقه على  
 مسائله العاطفية فله بمحمود .

وسكن جميع تصوفين ، يشركه ، حيد في هذا نوع من التشدد ،  
 الصوفي الذي يما ، شعب في بعد ، صبح مدها حصر ، مرض به يتجأ عند  
 درسة ابن عربي . لان هذا كثيرين منهم دركو حقيقة لمخاطبة الصوفية  
 وعرفوا انها لا تنفق ، ليهان لطفي ، لاستنتاج المعنى ، لذلك ترى د سون

مصري يقول عند ما يشككم عن التوحيد : ( هو ان تعلم ان قدرة الله تعالى  
 هي الاشياء بالامرح ، وصنعه بالاشياء ، بلا علاج ، وعلته كل شيء صمه ،  
 ولا علة بصمه ، وليس في السموات العلا ، ولا في الارضين السفلى مدير  
 غير الله ، وكل ما تصور في وهدك فاقه بخلاف ذلك (١)  
 وبين هذين الاستشهادين ختلاف كبير . دون ان يكون مؤمن مسلم ،  
 وخيد متعلق مشكك .

والكسر لتصديق عند ما نخدو ابراهيم ، سطقية في ثبات اصولهم  
 كانوا يسرون حسب الطريقة الشرعية الي انهما ثمة الدين الاسلامي . فهم  
 د مسلمون مؤمنون عند ما يؤمنون انهم دين في قدمون المقدمات يتوصلوا  
 الى نتائج . وهم مسلمون عند ما يبحثون في النقا الملمية التي تبحث فيها  
 عرق من قبل ومن بعد ، وعند ما يتل بعض معزيتهم بين عاطفته وعقله ،  
 بين ياته وعنده . وهم مؤمنون عند ما يشرقون عن عقد حلقات الذكرو  
 يهتقد حلقات حري للمحادثة ، عاهرة والنقص ، الابرام ، الاكار ، والاثبات  
 والتحريم والتجيب . هم مسلمون عند ما يقولون : ( ان حق سبحانه وتعالى  
 موجود قديم ، واحد حكيم قادر عليم ، قاهر رحيم . . . وانه عالم به ، قادر  
 بقدرته ، مرشد بارادة ، سميع لسمع ، بصير بصيرة ، متكلم بكلام ، حي  
 بحياة ، باق بقاء . وله يدن هيا صفتان ، يخلق بها ما يشاء سبحانه على  
 التحصيل ، وله وجه لحي ، وصماته ديه محتصة بداته ، لا يقال هي هو  
 ، لا هي عيار له ، بل هي صفات له زلية ونوع سرمدية (٢) )

(١) الرسالة القشيرية ص ٤

(٢) الرسالة القشيرية ص ٧

فقد بقي التصوف دأ على اسفة ومار عيبه ونعمته لم يش في فقه  
من زمان تكاد تملح فرما كمالا تمتد من غور اندي و الثالب شعري  
العاطفه لدبية الصادقة اني لا مبهمة فيها لا محانة . فقدم رز رحاب  
الدين و هاسم لتضيق العاير . عند سلاحا مصيحا للعدل و خب د في  
سبيل دحر الباطل ونصرة الرسالة

وحد ر كان لمؤمن ر كشمي ي عين به شرح من احلالة و د كفة عمل  
الخير و صبح التصوف بحاله . كثر من ذلك و به همه على صدق فقه  
كثير من وفته في خلوص لي اركاب . محاسبة نفس والبطن عطية به  
وقدرته واد تلك العرعة ارم حيه بفضة متطور وتنشقر من عهد في  
آخر و تتعلق بما خلقها من ديول و فروع و وعد عباد الله و د كره عابسه  
للحياة بعد ر كانت وسيلة له د احديا . به . و حرج كل شمس و سمي  
بعد لتصوف عن ر به مكرها محفيا . فاحدث تلك العرعة د لادقاص على  
الدين سد ر صهرت لسده و احبانه . و حد راس العادبون الدين تعادل  
عندم حب الدنيا و لاحرة يسطرون و ينصومين بظرة مؤمن للشادين  
المارقين عن الدين . و رأ . ان هذه العرعة د عمت و شرت عند جميع  
المسلمين وهي فاضية على الدين دون شك و قضية على اسمي و ر . الرزق و  
هادمة لبرعة الجهاد اني تكاد تكون من مراء من الدين لاساسية و د ا باسلي  
الذي رأيناه في عهد الخطاء الزا . دين يخرج من شبه الخزيرة اعرية بفتح  
احمالك و يبشر فيها دبه بقوة ساعده و حد سيفه يقسم في الزوايا متأملا ذا كرا  
الله محاسبا لله و متهللا من حب و با كيا من الخوف

حاف اصحاب الامر من هذا التحول في النعمس و فقد كتب بعض  
الصالحين الى ح له يستدعيه لي العرو و مكث اليه . ( يا اخي كل الفحور

مختلعة في بيوت واحد واربعت عشرين (فكتب اليه جوابه) : لو  
كان الناس كلها لرموهما لزمته احتلت مورسطين وعلى الكفار فلا  
يبد من العرو وخدام) فكتب اليه اصوي (يا حي) لو لزم الناس ما  
ناعبه وقانو بي . يده على سحر اذاته . قد كبر ١١ سبدم صور  
قسطانية (١)

ود سوري شجاع ، صليب يتحول الى قائد رهد هرس حائر اقوي  
بكاه ، سكاك نقطاع كل شبيحة بحمحه دمام لذي بعيش فيه .  
فالامتناع عن عهد واسكاك وبعالة في العادات ، لا كثار من  
العروص ، ومن لطريات الفلسفة التي تتفق لمتطرون كالمسطاني ، علاج  
وابن عربي ، كل هذا جعل من ليس رقتل من نورعين يرعون الف  
التصوف عرب لدر في البلاد العربية ، لا يجب الى الاسلام بسب ، وانه  
يخالف الرسالة في دمه ، صدهد ، ذلك بما ما دفع المحافظين كخاشبه الى  
اضطهاد اصحاب التصوف ، حراق كتبهم وتدمير حظواتهم وقضاء حظاتهم  
وتتبع الرأي العام عليهم .

وسكن الحقيقة هي ، فانه ابن حلدون في مقدمته ، عدم انت الف  
التصوف اسلامي لثقة و لاصل فضل : (عد العلم من املوه الشرعية الحادثة  
في الله . واصله ان طريقة هؤلاء انقوم ، تزل عند سلف الامة ، كبارها  
من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية ، صليها المكوف على  
العادة والانتقطاع الى الله تعالى والاعراض عن زخرف الدنيا وريبتها والزهد  
فيها يقل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة

وكان ذلك عاماً في الصعامة واللف (١) - (٠)

وكما تفهم امام طاهرة عربية قد لا نجد لها تأيلاً وقد تساعد بعض المؤرخين في زعمهم ان اصل النصب اجني . فنقف امامهم وليس لدينا برهان حسي محاذ لهم . وهي من المنصورين الاولين الذين ظهر في الممالك العربية لم يكونوا عرباً . امامهم فرد ينسبون في الاصل الى ملل عربية وفي المولد الى بلاد احسية . ان كثيرين من الذين يروون في عهد الصبح كانوا فرساً . فكان د. ابوب المصيري ويا ( توفي عام ٣٢٥ هـ ) وابو علي الفصيل بن عياض حر سائياً مات في مكة سنة ١١٨٧ هـ ) ومحموط بن فيروز الكرخي من ( مات سنة ١١٧٠ هـ ) ويرغم المؤرخون به كان مسيحياً . وكان ابو الحسن سري من اهل السقطي بالحيد محموط وحال الحيد واستاده حبيباً ( مات سنة ٢٥١ هـ ) وابو نصر شربل حرث خب في من مرو ( سكن بغداد مات في سنة ٣٧٧ هـ ) كان ابو بريد طيمور البسطامي محمدي لاصل ( مات سنة ٢٦١ هـ . سنة ٢٣٠ هـ حسب رواية ثانية ) وكان ابو نعم الحيد بن محمد من بهاءد ( مات سنة ٢٩٧ هـ ) وكذلك شاد اللسوري ( مات سنة ٢٩٦ هـ ) وعبير الناسح ، ابو يعقوب اسحق بن محمد الهرهوري ( مات بمكة سنة ٣٣٠ هـ ) وهو القائل : « الدنيا بحر لا آخرة ساحل » لمركب التقوى ، ولناس سمر » وابو بكر الحسين بن عبي بن بردايار . و لقاسم ابراهيم بن محمد النصارا بادي ( مات بمكة سنة ٣٦٩ هـ (٣)

(١) ابن خلدون المقدمة ص ٤٦٧

(٢) راجع الرسالة القشيرية من ص ٧ الى ص ٣٠

لا مبدل الى اسكار فصل الاعاصم في الحضارة العربية . فكما كان  
 أثرهم مبدئيا في النواحي الاجتماعية والسياسية ، كان اثرهم حاسما في النواحي  
 العلمية والفنية . فقد كانوا قرب من العرب القويح ، ، فهم قد تلقوا  
 الروحانية في الشريعة ، للاسلامية ، لانهم انما انوار في من عند الله .  
 فليس بالعرب ذات بركة ، بل من فكاره استقلال العصر الروحي  
 الاسلامي ، اول من شاع عرف ، ما بعد على شرفها لا بل شاع بينهم  
 العلماني اللامع فيه ، لاجل ما ان يرى طوره ، في الشهادة ، على وضوح .  
 ، لكن هل أحد ، شاع عرف ، انما لم يذكر به من في الثمينة  
 لاسلامية ؟ هذا ما لا يقدر احد من ، ما لان احواف سلامية عربية ، ما  
 حاد بها من مذاهب ، ثانياً بل عمل دال  
 اما المصائر التي ادخلت على اربعة اوجه ، في كيمتها ، فوعتها ، فحسها  
 بعض الاقصاء عن الدين ، وحرث ضالها على ما عشتها ، فاما قدر ان يبيدها  
 الى المصير العاصمي لاسكندري ، ، العصر المسيحي ، ، والمصير الحدي  
 البوذي .

فاذا مزجنا هذه المصائر الاحدية الثلاثة بالمصير الاسلامي ، وحطنا  
 بها مركبات مختلفة الاقدار والنسب ، فتوصل الى فهم معظم الفرق والبرعات  
 التي حدثت في التصوف الاسلامي عامة والعربي خاصة .

## ٧ - النصر الاسكندري (١)

كانت الاسكندرية في القرن الثاني للمسيح محط رجال العلم والفلسفة والدين . وكان بوتقة تعبر فيها المذاهب والآراء لتنتج لها شكلا واحدا عاما . فكانت التوراة تقرأ بلهجة واحدة . تشرح حسب تعليم فلاطون وروژه الشمرية . ورأى الناس في سمر لتكوين تحقيق ما دعاه فلاطون بالعلم الحسي الذي انبثق عن العالم العقلي .

كان آدم يمثل لهم سرهم من عقل الكلي لانه خلق على صورة الله . حيوانا تمثل الاحساس بحسنة التي حدثت لعقل بالظواهر وجعلته بأكل التفاحة ويطعم من صنوه . اصاحي الى لدرلك لانساني . ورؤساء القضاة الكبرية عند المعريوس كايروهم . اسحق . يعقوب . يمثلون الطرق الثلاث التي تقود الانسان الى حياة الصلاح . هي : العلم ، الخدمة الالهية ، الزهد . وهكذا تعادل التعاليم اليونانية والافلاطونية ، تعاليم موسوية حتى ذهب عنها التوراة الى ان افلاطون ليس سوى موسى بشكلا ايدياليه ، وهذا ما كان يعتقدونه فيكون الاسكندري معاصر المسيح في التوراة ومبارتها

فلبيت الافلاطونية الحديث اذهب الاسكندري سوى مدرسة

راجع :

- E . Bréhier : Histoire de la phil . n . 419 - 485  
 J . Simon : Histoire de l'école d'Alexandrie 2 vol  
 E . Bréhier : la philosophie de Plotin 1922  
 \* \* \* Les Ennéades de Plotin  
 Robin : La Pensée Grecque .



شأت لتتجمع بين مذهب فلاطون ، المذهب الديئية الموسوية والسرهمية  
والذية - فتتحول الفلسفة الاعريقة الى اصحاب لاهوتية لا يقر بها المشاؤون  
والروقيون ، وتعتمد الافلاطونية الحديثة الى وصف العالم الدقلي وطرق الوصول  
اليه كما كان يصف ارسطو المحسوسات التي تحيط به ليستخرج من ذلك غو بين  
عامة تدبير الكون بكامله

فتح العرب ابصارهم للعالم فاداسهم بمفهوم على الترحمات التي عمد اليها  
التطوريون والسريان وسقى العرس ، واداسهم هذه الترحمات شروح للمذهب  
الاسكندري ، واداسهم من حافة يرومن فيما ذهب اليه فيلودوفلوطين  
وفوريفوريس برهاناً قديماً قدرون ان يستمدوا - لائات العلة التي تجمع  
بين الخالق والمخلوق ، بين الصانع والمصنوع ، فكسروا على درس هذا المذهب  
وتغنوا في فهمه وتأويله ونمذجه حتى اصبح لكل فرد من المتصوفين مذهب  
خاص يقتبس عن الافلاطونية الحديثة

فيلون : ( ولد في الاسكندرية سنة ٢٠ ق م )

وعم التعميد في مذهبه لمرح الذي قام به بين تلاميذ فلاطون وراوايين  
والتوراة فاسا قدرون للمذهب بالقاط الآتية :

١ - يعتقد بوجود الله قادر يتصل بالارض بواسطة مخلوقات اخرى  
تختلف مكانتها باساسة الى الدور الذي تقوم به

٢ - على رأس هذه المخلوقات وفي الدرجة الاولى توحد الكلمة  
Logos . وثاني بعدها الملائكة والسياطين - وبواسطة هذه المخلوقات  
ترتفع نفس الحكيم الى العزة الالهية .

٣ - ادخل فيلون على هذه التعاليم الصوفية شيئاً من مذهب الفيثاغوريين

لكي يشرح اختلاف المظاهر في الموحديات . هي الاصل كن الواحد L Un  
تطور في ذاته فاحد العقل او الكلمة Logos . ثم تطور العقل فظهرت  
الروح . ثم حدثت المادة لتكون العالم الحسي باتصالها بالصورة  
هي المدعى الاسكندر بن علي هذه النقاط . وربما كان فلوطين  
يرمز شخصية بحثت في هذه المسائل . هاته مهمة فيلون بعد ان ادخل شيئا  
جديدا على مذهبه . وهو الذي نصحت في عهده فكرة الاشتاق والفناء كما  
عرفها الفلاسفة الاشراقيون ، المتصوفون المتعالمون كبر عربي مثلاً

فلوطين :

( ولد في مصر العليا في عام ٢٠٠ ب م ) وتابع دروسه على  
اشهر الاساتذة في الاسكندرية ، وسام في حملة الامبراطور اكونديانوس على  
فارس الذي يشتهر في مذاهب هذه الامة وعلمها . وفي سنة ٢٤٥ م زل  
روما حيث بقي . ثم العسفة الى موته في عام ٢٦٩ . وكان ديوغ صيته سبب  
اقدال الطلبة عليه من مختلف الاقطار ، وبينهم فوريموروس ابريس سر  
والامبراطور جوليان .

بمخص مذهبه كما يلي :

- ١ - الواحد هو كل شيء . واكسلا لا تقدر ان تشت انه شيء من  
الاشياء او ان تقول به كائن او ذات او حياة . فانه رغم من كل هذا .
- ٢ - لماذا اوجد الله الموحديات ؟ الشوق ام احاسنة دعاء الى خلق  
العالم ؟ اكان الاشتاق ام الحب سبب ايجاد المخلوقات ؟ بنفي فلوطين كل  
خلق لا يلائم الله في حلاله وعلمه : ( الواحد لا يشتاق الى شيء . فالشوق

يظهر لنا به غير تام لانه ليس حائراً كل ما بطلنه ( فالشوق واحب لينا اذا  
السب في الخلق . ولم يحدث العالم اتفاقاً لان ذلك غير معقول ولا يوافق  
ما نعلمه عن قدرة الله . هل نقدر ان نعلم ان الخلق التي وجدت  
حسب طريقة منطقته كان سبب حدوثها قدر عاظم ؟ ام هل حدث الكون  
من حاجة الله اليه ؟ كلا . فالوحد لا يتأثر بحاجة ، وسبب الخلق يحتاج  
اليه ، ولشأننا اليه .

٣ - من مزايا الكائن الكامل ان يوجد شيئاً يشابهه ، ان كان احط  
منه . فالخبر ، طلق : الله لا يقدر ان يبقى بدون عمل ، وان الاوار تدير  
الطنينات ، ولزهره عندما تنفتح وتصبح بدورها تقدر ان تكون سبب حياة  
شجرة صغيرة . والنسج بمجرى مياه . والزمن العالم يتقصف لا تحرير تحتكته  
ان الذي يحدث عند هذه الخلقات السلي يحدث عند الله . ولكن بين  
الخلق ، الخلق هو عميقة ، مسافة بعيدة . والكائن عند الخلق ليس سوى  
شعاع اثير اسطق . وكيف ، في ذا الكائن لا عظم والخبر المطلق محصوراً  
في نفسه دون ان يعطي لوجوده ؟

١ - فالعالم لم يبرز اذاً من العدم ، بل هو ، لادة جديدة ، هو منق  
او صدر من الله . ولا بداً للخلق من ، يبقى في من حقه لكي يتمتع  
بقربه وبحقيقته ، ولكي يتأمن بصدوره . وهذا التأمن الذي يحدث عند  
الخلق مدعوه ، انوسين . الرجوع الى الله . نقدر ان نتوصل الى  
خالقه بهذه الطريقة

٥ . ال خلق يحدث من هذا الصدور يك ، يتأله الخلق . شابهة  
كبيرة في كماله . الكه يبقى دونه . وهذا عروق لاول هو كلمة او  
الحق . والمقل يوجد سورة روح الكيه . الروح هي الكلمة المستقاة من

العقل كما ان النفس هو كلمة الواحد . فالواحد والعقل الكلّي والروح الكلّي  
تؤلف سلسلة الحقائق الالهية . ويأتي بعد هذه الانيات الثلاثة اقنوم آخر  
ثنوي هو المادة ، الصورة . فالمادة او العنصر الحسي مع المكان والزمان تحدث  
من الروح الكلّي كما اشتق الروح من العقل الكلّي

٦ - كل مخلوق غير ناه يصدر عن مخلوق اكل منه يكون المثل الاعلى  
في الكمال خمسة . لذلك لا تقدر ان تقول ان النفس في المخلوقات هو شر ،  
لان كل موجود يحال بطريقة الروح والارتداد ان يعادل في الكمال  
الموجود الذي جاء منه . من هنا تأتؤل بالحياة . كل شيء يأتي من الخير  
واليه يعود

٧ - كانت الروح الفردية تدرك لعالم العلوي حيث تعرفت في كل شيء  
واكتملت تحدث بحجم نفس ثابتة على ما يجب ان تفك هيدها وان تعتمد عن جميع  
المحييات . وعندما فعل ذلك معهم استمرار الطيبة . واعرب ما في رأي  
اولطين وجود روحين عند كل انسان : روح عاقلة تعطي الشخص قيمته  
واكتملت ليست في الجسم . تقدر ان ترتفع في المقولات الى الحق المطلق  
بالابجدات ، ونفس لا تمكرو وما يقتصر مهتمها على تحريك الجسم . فقد  
اتخذ تصوف هذه الطريقة دليلا على صدق دعواهم بجه حياتهم الزهيدة  
وصري ذلك عند كلاما عن طريقتهم في التوصل الى الحق

٨ - ذهب اولطين مدعا يخالف اعتقاد معظم الفلاسفة الاغريقين  
« الجسم هو مدس الروح » والعالم الحسي كهف ، ووجودنا في الارض  
حدث بعد حرم اقترفته الروح . « فعمل موضوع الفلسفة معرفة العالم العقلي  
بعد نظير الروح . وهكذا اصبح العالم العقلي المرتبة السامية التي  
تتوصل اليها الروح بجه الحياة الدورية بعد ان يستند فلاطون ان تلك

الثانية لا يصل اليها العقل في محوته. لا نلها الروح الا في حياة ثانية  
 ان الاتحاد الروحاني هو الطريقة الوحيدة التي نوحسها الى المعرفة .  
 وهذا الاتحاد لا يتم الا عندما نكون في حالة سكر روحاني فتمتزج الروح  
 الفردية باخير لطاق وتترك اسرار حميم الكائنات . وهذه مرحلة لا تصل  
 اليها الا الارواح ابهية كالانبياء والحكماء بعد محاولات عديدة  
 قال موديبورنوس : « في لم اتوصل الى هذه الرتبة الامروية - مدة في حياتي  
 عندما كنت في اثناسية والنتين » . اما فلوطير فكان اسعد حظا منه فتوصل  
 اليها - كما ذكر ذلك - اربع مرات

ماذا حدث التصوف العربي عن المذهب الاسكندري ؟  
 لم يقتصر تأثيره على المتصوفين ، انما ظهر بحلا ووضوح عند اعلامه  
 الاشرافيين ، فاعتنى العربان ابن سينا بطريقه الصدر والاثنى . كما اعتنى بها  
 المتصوفون كالحلاج ، ابن عربي ، فاد ، عقل السكي ، الروح الكاية والواحد  
 تقوم مقام الله ، لقم ، القوح ، وعل نكة . وقد فهم لاسلام هذه النظرية فلم  
 يحمل عليها كما حمل على سواها من نظريات  
 احمد المتصوفون دأ عن مذهب الاسكندري نظرية الصدر ،  
 ونظرة لروح ، الاتحاد ، نظرة اروح والصبر ، كره العالم وحياة  
 الزهد ، وتطاول احياء الثانية . ولكن الاتحاد لم يزل من تدمير المحققين ،  
 لان الاتصال بالله في الحياة الدنيوية امر لا يقبله الاسلام ولا يلم به . فان  
 الذي نفسه حال بعيد ، فكان حبل الصلة بينه وبين حقيقته ، المثل المؤمنين  
 لا يتصل بربه بعد الموت بل يشاهده ويشتمه فانور حاله بعد ان تترك لتأثر  
 العبدية اي تفصل الخالق عن المصنف - كيف يقدر اذا المتطلف الاسكندري  
 على الاتصال بربه ولقاء به وهو على قيد الحياة ، وضمن جدران المادة

الكثيفة؟ ثم ينظر المتصوفون الى هذا الاختلاف بين الدين والفلسفة الاشراقية  
 وانما يخرج ورأه من ديول وقاويلات - فلم معظمهم بهذا لاتصال والابحذاب  
 وسلموا بان العبد اذ تطهرت روحه وصفت منه وهزل جسمه واتبع طريقاً  
 معيناً يتوصل الى الاتحاد بربه - لذلك رأينا بعض المتطرفين يماحرون الانبياء  
 ويدعون بأنهم لو اعطوا وحي محمد والوحيه عيسى لم يرضوا بذلك ، لانهم  
 يقدرون على الاتصال بربهم عندما يشاؤون ، يقدرين على احدث الكرامات  
 والعجائب عندما يريدون - وقد دفعتهم المدرسة لاسكندرية الى نظرية اخرى  
 خطيرة تجد في القرآن آيات فنسكوها وآيات اخرى تكاد تنزع في معناها وهي النظرية  
 الحارلية ، وما يستقيم ذلك من وحدة الوجود كما سرى ذلك ضد ابن الفارض  
 وابن عربي ، فكلاهما تأثر بالاملاطوية الحديثة ، وكلاهما اعتقاها ، وهما  
 يابذهب الحلو في - وسرى مبلغ هذه التهم من الصحة عندما تعرض لهذين  
 المتصوفين الشهيرين المتأخرين

### ٣ - العنصر المسيحي :

وأما في الفصل السابق ان الحركة النفسية ظهرت في مسيحية قبل ظهور  
 الاسلام - فانه بعض رجال الدين المسيحي في حياتهم تنحسا يكاد يشبه ما  
 نراه في التصوف العربي الاسلامي - فكانت لا بد من وجود صلة تجمع بين  
 الناسكين من الديانتين ، وكان لا بد من تأثر الحديث بالقديس كما تأثر التصوف  
 العربي في القرون الوسطى بالتصوف الاسلامي -

ينظر القرآن الى الزهياں لتقنين نظرة لاطمئنان والاعتباب ، وبوحي  
 بهم حيرا . وليس الحديث القائل ( لارهاية في الاسلام ) سوى دليل



الفقراء على الاعتناء . فقد حمت من شروط الايمان الصعيب الاعتماد على  
 امر من له يسا واعتاق الفقر . فقد جاء في اخبيل متى . ( لا تكبروا لكم  
 كسوزاً على الارض حيث يفسد السوس والآكلة ويقت السارقون  
 ويسرقون . لكن اكبروا لكم كسوزاً في السماء حيث لا يفسد سوس . لا  
 آكلة ولا يقب السارقون . لا يسهقون . لانه حيث يسكن كبرك هناك  
 يكون قانت ) (١) . واما في اخبيل لوقا . ( سمعتم انكم ايها الذين  
 ملكوا الله . طوبى لكم ايها الخبثاء فاسكو مستمعون ، طوبى لكم  
 ايها الناكثون لان فاسكو مستمعكم ، طوبى لكم دا بمصكم اساس  
 وهوكم وغيركم . سمعتم انكم ايها الذين احبوا الانسان . ارحوا  
 في ذلك اليوم . تهلكوا . فهدأ حركة عظيم في السماء . . . . . لكن الرب لكم  
 ايها لاعبياء فاسكو قد ستممتم . كم ، لو انكم ايها المشعرون فافكم متجععون  
 الرب لكم ايها الصالحون الآر فاسكو متوجعون . ( ٢ )  
 ألا يبين هؤلاء لاعبياء الصالحون هن تنرف في الحسارة الصافية ؟  
 ألا يبين هؤلاء الفقراء الناكثون انهم يهدون صوابين يدين باعوا دينهم في  
 صين اخرتهم ؟

ولم يقتصر الاتفاق بين المرتقين على فقر وانما تعدى الى ناحية اخرى  
 صعبة في لاسلام قوية في المسيحية ، هي رغبة شاكل على الله في المرائش  
 وجميع امور الدنيا . فقد جاء في اخبيل متى : « لا يستطيع احد ان يهد  
 رين . . لا تقدره ان تعدد الله . بل . فهذا قول الكهنة لا تهتموا

(١) متى ١٧

(٢) اخبيل لوقا ١٧



لانكم عما تاكلون ولا لاحادكم بما تلبسون . . . انظروا الى ظهور السماء  
فانها لا تزع ولا تحصد . لا تشرق في الايام . و هو كم السحاب يقوئها  
أقلتم انتم الفضل منها : (٧)

اعتنى المتصوفون المسلمون هذه النظرية وبالعوا فيها . واصشدوا بهذا  
المثل وعينه . وسر في كلامه ان التوكل مثل اقيرة العمياء التي يثق الله  
بامورها . فان هذا التوكل . ان ظهر ظهوراً حسناً في ابدن الودي . وكن  
من الالسن التي قام سلبها هو قد تطرق من المسيحية الى الاسلام

وزاد هذا الاثر وضوحاً . فاد بعض اشيوخ الذين ظهوروا في حق التصوف  
كانوا يتسبون الى اصل مسيحي . وادوا بكثرة مرشد تطرق الى حقائق .  
فيظهر الشيع في الاسلام احمد دمان اربيدس ودير طريقتهم . وادوا في  
حياتهم الكثرة والصلابة والشمس على احشائهم . يشجعهم على فعل الهائل  
والعقبات يمدحهم على حسن هاشمهم . وقد شتبه ظهور مثل هذه الشخصية  
المدبرة في صلب التصوف ظهور فاحية كثرية جديدة لم يتعرف اليها ايما هي  
وهي تختص بالمسيحية . فاد بالمداء البائس والمخدوب والمغلوب . وجميع اراد  
للمجاعات يمددون الى محاربة قومهم وعد الذنوب وده الناس الاشارة بالروح  
ومدح الروح . لدقة الى غير . لم سق من واصل بين لمسيحي والمهود اربدي  
سوى سلطه ارشد . و الشيع في عمران اسطيا

وقد لمع التطرف في الالقاء . ولهم ان ان تقع بعضهم من الزواج .  
ذلك نقض صريح لتبعية الاسلام . وقد رأى اقدامهم دلائلهم يبرنون  
من ديبهم . انه يجر صور الدامر على طريقته . لذلك رأيت في هذا عدم



هناك نواح أخرى لا شك فيها ولا حيز إلى أسرارها ، وهي عند ما يعمد المتصوفون العرب إلى دراسة حياة الأباء عموماً والمسيح خصوصاً وحياة الرهبان المنتشرين في البلاد الشامية ، ويحاولون أن يقتدوا بحياتهم ويستخرجوا من الاناحيل أمثالا تدعم مذهبهم وتشجعهم على حياتهم النسيكية . وعند ما يصبح الاناحيل الكتاب المسيحي في الدرجة الثانية . حد القرآن بطالعه الله وفيه ويتأمل في تعاليمه ويطبقها على نفسه ويستخرج منها الحكم ، لا يبقى لديه مجال للشك والاشكال . وليس علينا إلا أن نلقي بعض نظرات على كتاب الاحياء ليرى ذلك الاثر ، ونرى مله في نفس المتصوفين

وإن الذي يريد أن يحض الناس على كتم احوالهم وسكرهم الروحي يتمثل بقول الانجيل : « إذا تصدقت فصدق بحيث لا تعلم شمالك ما صنعت بميك . » والذي يرى الحيات يجربك علانية . وإذا صمت فاعمل وحبك ، وأدمن رأسك لئلا يعلم بذلك غير ربك . فاضرب القول وانفعل كله مدوم إلا د غاب السكر الحب فاطلق اللسان واضطربت الاعضاء . ولا يلام فيه صاحبه (١) « فهو يشير إلى ما جاء به انجيل متى : فمَنْ صَنَعَ صَدَقَةً فَلَا تَعْلَمَ شِمَالُكَ مَا تَصْنَعُ بِمِيكَ (٢)

وعندما يريد أن يزهّد المتصوفين بالمال واعراض الدنيا يتمثل بآيات من الاناحيل وبحياة المسيح واتاعه ، وقول زنهان : الناسك . فقد جاء في مكان آخر من الاحياء ، قال بعض عباد الشام : كلّكم يلقى الله عزّ وجلّ مصداقاً ومله قد كذبه . وذلك أن احدكم لو كان له اصم من ذهب طبل يشير

(١) الفزالي احياء علوم الدين ج ٤ ص ٢٨٩

(٢) متى ٦ ص ٦

بها ، ولو كان بها شغل ظل يواردها .»

وإذا بالآثر المايحي يصبح أكثر وضوحاً ، وإذا به يعدل بعض الأسس في الديانة الإسلامية . بقرنها من المسيحية . فإن الصلاة التي تجمع بين المسلم وربه هي صلاة الخوف والرهبة ، يقف أمامه حائلاً حاشعاً تعطرت به هنعاً فيحاط به سائرات منقطعة ، «عاش لاشعة والى شارد ، فلأنا به يحارب عذاب جحيمه أكثر مما ينشوق الى لذة نعيمه .» جزء التصوف يحدث حذب في الشريعة ، فإذا به يحكاد يقضي على تلك الرهبة ، وإذا بالمعيد يقف أمام مبروده يحاط به محاطة لعاشق معشوقه ، والحبيب حبيب . «إد هناك ناحية جديدة من الشاعرية تنمو وتزدهر وتنشعب وتوسع من وتارها الأساسية .»  
وإد شعره كثير ين من العرب وغير العرب من مسلمين يتقنون معظم حياتهم في التني بحال لله . حلوه . صالوه . وسيمه .

فقد اشعلت الماطمة الدينية الصوفية من طور الى طور ، من الحسن الصوري الخايف الساكني الى ابن امارض وابن عربي العاشق المندلج .  
فقد قالت ربه لعدوه الشاعرة الصوفية المشهورة ( ١٩٥ هـ - ٨١٠ م )

أحك حين : حب الهوى	وحاً لانيك اهل لداكا
فاما الذي هو حب الهوى	فشغلي بذكرك عن سواكا
واما الذي انت اهل له	فكشغلك للعجب حتى اراكا
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي	ولكن لك الحمد في ذا وذاكا (١)

والآن هذا الحب البريء الذي طهر عند رابعة وامثالها في العهد الاول  
من التصوف لم يثاقل على مذبحه وساحته ، وبما تحول الى نوع من الالاس  
وابسطة بين العائق ، عشق ودفع من يتطرق الى الاول عريضة لم  
يرض بها المسلمون اسيون فكان نصل بين اعرابيين وكن صليبا وشهاد  
كالعلاج والسرور ، ردي صاحب هياكل الانوار .

ولاشك في ان الفكر الصوفي الاول الذي حاول ان يخرج بعض تماثيل  
الديانات من حكا مقصوداً مطبقاً عليها على بعض اسطريات الفلسفة هو ابو حامد  
الغزالي . فادبه بدخل التصوف في حظيرة السفة . ويرد دعوات اعدائه عنها  
ويقلعها بيده . وشاح من اننديس . . . د . به يأخذ ذلك حوثولة . الحية التي  
ظلمت عند راسه . وير . عنها في ثوبه صالحة ويمشي بها . واداه في شارع الخوارج  
في نقدهم العمل على العلم ولايمان . . . هل كان هذا العمل في وحدة اسلك  
الا انداء بالرحمان الذين تصا . في اتحاد الطرق التي تزهق احصائهم وتقوي  
ارواحهم وتصعب عزائمهم . يستشككون في صلات شهادتهم الى عادة رجب .  
عرض اعزالي للمسيحية في ال امره . كما عرض لجميع ادبيات الاخرى  
من يهودية . وثنية . والجميع لمذاهب الفلسفة كالا كديمية . وشائية . واروقية  
والاسكندرية . والجميع الحل كاساطية والحدلية والصوفية فلم ير اصل من  
الاحيرة التوصل الى الحق كما ذكرنا ذلك في كتاب « المنقذ من الضلال »  
والكنه لم يعمد في دراسته المسيحية الى طرق منظمة . ولم يكسب على  
بعض الاناحيل نفسها في استنباط الحقيقة التي تطهر بين السطور . وانما  
كان يعتمد على ما لديه من البحوث التي كتبها المسلمون في المسيحية . تمايلها  
وانما يطها على ما كان يتصور به علماء الكلام . الفلاسفة والشيوخ المتصوفون  
فظل صيداً بعض البعد عن روح المسيحية يفصله عنها ذلك الستار الذي

يشق طوراً ويكشف تارة أخرى . ولكن العراقي النافذ لما حدث لم ينفق  
 بذات انصباب الصبيل من الثروة في المسيحية وبما كان يتشوق الى اكثر  
 من ذلك . وكان يحس الى ان يقف على النصوص منه فيكون فكرة  
 مستقلة لا اثر فيها للتقليد والاتباع . وكان يشهد العرس في الاعمال  
 العسكرية والتدريسية تحقيق به من كل جانب فلا يفرغ من درس انفعه  
 الاسلامي . تدرسه حتى يصرف الى علم الكلام يقف على آراء الفلاسفة  
 من قدماء ومحدثين في مسائل الموبسة التي شملت افكار ابطال الفكر من  
 هيراكليت الى ابن سينا . ولكنه ادرك في عمر كهلته انه في ضلال عظيم  
 وان الحقيقة الخاصة بهست فيما يليه هي طلاله في المدرسة النظامية المتعددة  
 وفيما يرد به على اعايط العسكريين المتعاضدين . فكار مرضه النفسي ، وكان  
 اهتدؤه الى طريق النصف . فترك الدنيا وما فيها وتناول في التشفيع بعد ان  
 امق ما يملكه من مال ومتاع على المقر . ورحل الى الشام ومصر والحبشة  
 وفي هذه الرحلة فكر بما فاتته في يساور ، مدينة السلام

فإذا كان شدة من مرضه النفسي بدء عهد جديد هو عهد التصوف  
 فان مروره بيت المقدس كان عهداً جديداً في زعمته الصوفية (١) فقد ولع  
 هناك امام المسيحية وحباً لوجه ، امام مبعها واليئة التي نشأت فيها ، امام  
 تقاليدها ومعابدها المعجزة المصعة بالالوار ، لمزجة بنواع المصعاء والخراف  
 البرطية ، لحلاة بالذهب والمعة ، العاقبة يسجور . الاحبار الرومية . عاد  
 نفسه الصوفية الجديدة نت منه تتأمل . ألم يذكر في هذه الديانة شيء  
 سوي بالاتباع . إذ انه يقرر في عهد انسخ درس تعاليمه في انجيله

L. Massignon : Le Christ dans les Evangiles (١)  
 selon Al Ghazali p . 562 Geuthner 1933 Paris

( سنة ٤٩٥ هـ ١١٠١ م ) . فلم يكدر يصل الاسكندرية في رحلته حتى عكف عليها بطالها . فاحصرها ورد عليها في كتاب : « ارداميل على صريح الانجيل »

ما هو موقف الغزالي من المسيحية في هذا الكتاب ؟

يسلم كما يفعل لاسماعييين بالصن . فلا ينسب الى رجال الدين التعريف والديس فيه . ولكنه يأخذ عليهم فيه وتأويله . ويرى انهم قدوة للدين في تاويل المعاني واستخرجها على غير ما وضعت له . ويرى ان النكرات والمعارف التي نشرها بالوحية عيسى ليست سوى حل محاربة كما حدث للتصوفين المتطرفين الذين كانوا يستحدثون مسائل قديمة ولكنه لم يكره معاناب المسيح واما حاله ان يؤلفا تأويلا فلسفيا عمدا عليه بها في كتاب نهاات الفلاسفة عندما حاول اثبات الحشر . فهو يرى رأيا دقيقا ، ويقرر ان معاناب المسيح هي افعال لطيفة . ولكن قلة توقف فيه على الاسباب الثانوية عند ولادته ، ولم ينسب فيه سوى ارادة قلة وامره .

ويأخذ عليهم اشياء اخرى تظهر نزعة انحراف الى الحدلية التي لم تتحضره تمام المحر بعد اعتدائه ، فيساقطهم كما ناسخ في الامس فلاسفة الاشرق ، يأخذ عليهم اعتيادهم على فلاسفة الاغريق وتلامذتهم عندما يريدون اثبات لوحية المسيح ، وكثيرا ما تؤدي تلك التراخي ولتقدمت الى نتائج معكوسة لا يقرها الدين ، ولا هي تقر به . وأخذ عليهم ايضا اعتيادهم على المعاناة التي قام بها المسيح للتوصل الى تلك النهاية . فيرى ان من واجبه ان يثبتوا الوحية انبياء اليهود الذين تقدموا المسيح بعمل المعاناة . ثم ملاحظ ان القسم الاول

من انجيل متى يشتم لا له الا المسيح ، والقسم الثاني انه له وسان ،  
والثالث انه ليس سوى انسان (١)

ثم ندرس لقطه دقيقة ، يقع عند كلام المسيح : « انا والاب واحد »  
فيسأل دأ م : لكن هناك شيء كثير من الشبه بين هـ هذا الكلام وبين ما  
كان شائعاً عند الصوفيين الخواريين . أثبت هذه العارة لوهية المسيح ؟  
ام تثبت ان المسيح هو جزء من كل ، وهذا الككل هو الله ؟ وهذه هي نظرية  
لوحة لوجودية في نصوص لها اختصار عند كلامنا عن امر عربي  
و لكن هذه المأخذ لم تجعل من العربي المتصوف عدواً للمسيحية ، وانما  
يؤكد بعض المقادير التي تقاطعاً اخرى ، يدحضها في حقائق المتصوفين ،  
ويعد لها طريق الى قلب المسلم ، فقد قرب لادنة لمسيحية من ادواق  
المؤمنين . كما ، كما ، كتاب لاهياء ، تقرطاً لحياة لرهان ، كما هو  
طريق امين للسالكين مؤه بين ، كما اعاد العربي لتصوف اسلم الى احضان  
الشريعة الاسلامية بعد ان سدل ستار التماهل على قوال المتطرفين ، بعد  
ان حاول ان يجد معها محرماً ، كما قرب به حامد الاسلام ، التصوف  
من المسيحية ، وحصل بين الشرعتين صلوات معوية وعمية ، لم تتصح في  
عصر كاتفتحت في ايامه

واذا اردنا ان نعرف في الامر مسيحي على اختلاف واجبه في السرعة  
الصوفية سابقاً لدر من مذهب محمد العربي في الفترة التي لم يـ هذه المعاني  
فان له صبر لصوفية ، نفقة التي صحت فيه في اقوال الشيوخ وعمالهم  
احتمل له ، قامت في أسس نقي متبر . وهذا ما وقع الخلل فيه فيما بعد ،



في الشام والعراق وانعزلت عن الشك بتقيدة حامي ديار الاسلام وحجته  
والى اضطهاد اتباعه بحرق كتبه . وقد كان الحر في سقيا عدواً لاولاد  
الحافظين ، وكانت يرمي الى القضاء على البرقة لاسلامه الصوابية ليستعبد  
عنها برقة اخرى عدية واطمية عممية صادقة . فكان يصل عيب بينه وبين  
المسلم القديس . وكان له شصار لال اثره في المعاطلة لاسلامية الى الان .  
اما الذي تنصر به شصار الخدم على القديس فهو المسيحية التي تروى في قلوب  
المعصوفين ، ولا تزال مترسدة الى الان

### ٤ - العنصر الهندي البوذي

قد تنجب انفاي عدم بر منس من لاثر هندية عامة واليهودي  
خاصة في المذهب الصوفي بعد ان تردد في اسلامي ، شأمر مدين لاسلامية  
وكاد يستقل نفسه في اخر اقرن ثالي هجري ، في ذلك حين لم يكن  
الفلسفة هندية نشطة وعز في عقائد الهندية ، وما تنتج من مسكتكين  
القائد المشهور بلاد هند .

فهل نحن فارزون على اننا هند لاثر ، بل اننا منس حرة في حقه زاجر  
معلوم لاسلامية ، واهو اذعية ؟ ان هند حسب دال كثير اعتنات ،  
يسكان هند فيه كل دمر لان ليس من مسا صوص صريحة يعتمد عليها  
في استحقاق حكمها ، فاستقال حول هند الكثرة ، لتعتمد على  
والترجح ليس سوى نتائج من مقدمات . هذه حائرة .

وقد بلغ التصرف ، ما هو الما حثين عندنا الى ان يعيد الصوفية  
الاسلامية العربية الى حال هدي يود . معتمدين في ذلك على حودث  
قد تكون تاريخية وقد تكون حرفية ، ما هم لذكور طه حسين في

كتابه : « ذكرى أبي العلاء » واستشرق المشهور كولد زهير في كتابه  
« العقيدة والنسب في الاسلام »

يكاد مله حسين يكون مؤمناً بهذا المذهب ، يكاد يجهل كل انوار واه  
او يحاول ارجاع كل عنصر فلسفي نشأ في التصوف الى ابيهم ، فيقدم  
سأ بعض الملاحظات عن ذلك انتم في بعضه ، بل مختصراً كل ذلك : « من هذا  
نعرف ان التصوف ليس مذهباً اسلامياً حاصلاً ، هو مذهب هدي ، احد  
صعدة المذاهب اليونانية عند الرواقيين ، الاسكندرانيين ، ثم اخذ الصفة  
الاسلامية في يوم بقي الناس (١)

اما ان لا يكون « اسلامياً حاصلاً » فهذا مما لا شك فيه ، لان الكثرة  
لا تقدر على الاستقلال بذاتها ، كما ان الفرد لا يتدارك ريش « حياً » دون  
ان يصل بسره من الامداد في سبل معاشه ، وان يكون التصوف  
هدياً في شأنه واسلامياً في حلقه فهذا مما لا يقره العقل ولا يثبت التاريخ  
وذلك لان العناصر الهدية الواردة لم تظهر فيه بوضوح الا بعد ان تم تقاسمها  
وانتشر ، اصبح له تاريخ ، وعما ، اساع ، مؤلفات ، ولان هذه العناصر عندما  
برزت في لاهوته كمال التصوف قد صحت ، لم يبق له من سميل للتقدم في  
المطبعة ، الحاصلة ، فذهبت الى المروج عن العقيدة الاسلامية والعقيدة  
الاسكندرانية ، والدليل انقطاعه على بطلان رأيه الاستاذ حسين الامير هو ان  
الاسلام لم يصطف هذا التصوف في كل عهده ، كما ظهر ، اصطفاه ، ما  
تسربت اليه لم ينطبعة عامة ، بل دبة خاصة الى ، اوقات الصوفية ، و  
بعض المتصوفين يمارون يود في تعامله مع الالهة الواردة اشنع المتنوع

## والاحاديث القدسية

ونظر ان السب الذي دمه الى هذا الحكم انقطاع في اصل لتصور وعناصره هو اختصاص من لم يمد منذ اقدم العصور سوع من الحياة يكاد يشد حياة المتصورين ، وتأثير هذه الحياة في المدارس الاعريقية التي ظهرت بعد اسقراطيين كالرومانيين في انبيا الانلاطونيين المحدثين في لاسكندرية .  
واما كولد زهير فهو لا يلج مع الاستاد طه حسين في لتطرف واقطع مسائل دقيقة كهده ، واي يستعني بملاحظة بعض حوادث بارزة في لتصور الاسلامي العربي والعرق الهندية الهندية . ويتساءل اذا لم يكن بين العتئين صلة التلمذة ، لاقتداء

اول هذه الحوادث التي صاحبت بها المنتشرق فارده حادثة ابراهيم بن ادم . فان بيته وبين ( سيدارن كوتاما ) • Sidharat Gautama • الذي اصبح فيما بعد بودا - شيخا عربيا • فقد ابد المذهب البوذي سكوتاما كما يد المذهب الصوفي لفظه من دم . كان الاول ميرا محاطا بمطف ابيه الملك ، وكان الثاني ميرا مستمدا لارتقاء سدة ملك • اعترف لاول الى حياة اللهو والبهجون بين رقص الخواري وعرف الموسيقى ، ثم تحول الى حياة الزهد والانشغاف كما اعترف الثاني الى التمتع بلذائد اشباب ليتحول الى لتصور في بعد - كلاهما ابر ثري جميل ، وكلاهما يتدصران من للذة التي ترافق الفتى والعنوة والجمال ، وكلاهما يتوقان الى مشر على بعيد .

## ابراهيم بن ادم :

هو ابو محقق ابراهيم بن دم بن منصور من كورة بلخ . كان من ماء

الملوك يخرج يوماً متصيداً ، فأثار ثعلباً أو رساً . وفيما هو يحيد في طلبه هتف به هانف : « يا ابراهيم ! لقد خلقت ام هذا أسرت ؟ » ثم هتف به من قريوس مرسجه : « والله ما لقد خلقت ، لا بهذا أسرت » فبرل عن دابته وصادف راعياً لاييه ، فأخذ حنة الرعي من صوف ، وأسها ، وأعطاه لفرسه وماءه . ثم دخل البادية ورحل الى مكة ، وصحب سبيان الثوري والفصيل ابن عياض . ودخلا لشام ومات فيها

كان يأكل من عمل يده مثل لخصاد وسعد اسانين وغير ذلك . يروى انه رأى في البادية رجلاً سلمه اسم الله الاعظم . فدعا به فرأى الحصر وقال له : « انا عاتك حي داود اسم الله الاعظم

كان عامة دعائه : « اللهم اقلني من دل مصيبت لي عر طاعتك » . اخبر محمد بن الحسين بن ابراهيم بن ادم قال لرجل في الطوبى : « اعلم انك لا تنال درجة الصالحين حتى تجوز ست عقبات ولاها تعلق باب النعمة وتفتح باب الشدة . والثانية تعلق باب العز وتفتح باب الدل . والثالثة تعلق باب راحة وتفتح باب الجهد . والرابعة تعلق باب النوم وتفتح باب السهر . والخامسة تعلق باب العي وتفتح باب الفقر . والسادسة تعلق باب الامل وتفتح باب الاستعداد للعدو ( . )

ان بيضا وبينه فترة من ارمس . فلنس لذيبا شي من النصوص بقدر ان يعتمد عليه في فهم مذهبه اللاهوتي . وكان له مذهب ، كما بقدر ان تفعل ذلك عندما يزيد ان حكمهم عن بودا . فانه لم يؤثر عن ابن ادم مؤسعات ،

(١) باختصار عن الرسالة الفشيرية من ٨ . راجع دعاءه باسهاب في

قوت القلوب ج ١ ص ١٠٨ - الاحياء ج ١ ص ٢٩٤

ولم يكتب عنه سوى نصف صغيرة مبعثرة في كتب التصوف ، وهي مجموعة  
مصانح دبية عمية تساعد المريدين على فهم طريق الحق ، وتنحصر في معظم  
الاحيان على فضيلة الفقر .

ولكن هذا الامل الذي يمتدح عا في المرحلة السادسة من الطريق قد  
يخالف كل ما نراه عند المتصوفين الذين لحقوا به . لان القساء على الامل  
والاستعداد للحب هو فكرة بودية غضة كما يرى ، ولا ريب هذه الدرسة  
من الحياة لتقلية هي الدرسة العليا للرهبان اليهود .

فهل بين دهاب الامل عند من دعم ، نقضاء على الزعد عند من اصد ؟  
وهل هناك تنذر ، ابتداء ؟ نريد ان نتقن ان ذلك ليس سوى تواردي  
الانكار بين الزاهدين .

### بودا واسودية ( )

تقوم البودية على مذهب التسامح ، لان بودا قبل ان يظهر في شكله  
الاحير من اشخصيات عديدة تدعى خمسة رجبين بها السمكة ، الحمامة ، الدبك  
والحرث والصلحانة والارنب والامل والحصاب والنمل والفرد ، اشور وحيوانات  
أخرى غير هذه . ولكنه في انطوار الاحير الذي سبق رسالته قرر ان  
يقوم معه ويتطهر من قذرة الحياة لكي يتوصل الى درجة بودا . فخرج امه له  
وتنازل عن عرشه واعطى ولديه لرحل برهمي ليخدمه . واعطى زوجته (مادي)

(١) راجع M. G. Glaud . La vie du Bouddha et les doctrines bouddhiques  
A. Barth - Religions de l'Inde Paris 1880

لبرهمني آخر . ولكن الاله ( اندرا ) اعاد اليه كل ذلك بعد هذه التصحية  
فعاد الى ملكه . وعندما طأه الموت صعد الى السماء .

هذا هو العهد الذي تقدم ولادته النهائية ، وهذا ما جرى له قبل ان  
تلتح عليه الالهة بالرجوع الى العالم لاجل رحمة اخسر . فقرر العودة فولدته مايا  
« Maya » امرأة سوداء « Sudhodara » وكان ذلك عام ٦٠ ق . م  
كان ابوه في ولادته الأخيرة ملكا على قبيلة ساكياس « Sakyas »  
ولم يكده يخرج من جنبه . لاجن حق مشى وتكلم فقال . انا ارفع مخلوق  
في العالم وفصلهم . هذه ولادتي الأخيرة ، صاصم حداً للحق والمهرم المرص  
والموت ، وسأسحق الشيطان وسجوده »

اقام له ابوه بعد ولادته خمسة ايام حمله انتهاكاً به ، وكان بين الدعويين ثمة  
من المتشككين فقالوا : ان الوليد صعدوا ملكا عظيما دا بقي في العالم ، اء بوذا  
كاملا اذا اتبع طريق الدين . فدعاه ابوه في تلك اللحظة باسم ( سيدارتا )  
- ابي الرجل الذي يبلغ عابته - وقال احد البراهمة الحاضرين : ان  
هذا للام بعد رجول دين ، ويكون السبب في ذلك رؤيته شبيحاً ومريضاً  
وميتاً وراهباً .

فحاول ابوه ان يصرفه الى حياة الدنيا خوفاً عليه من الذوة المشؤومة  
شديد له فصرأ تخمها متبعاً ووضع حوله الحرم لكي يحولوا دون حدوث  
سباب الانقلاب في نصبة امه . واحاطه بالنساء الغنيات طميلات . وفي  
احد الايام حملته عمته الى احد المعابد البرهمنية وهو لا يزال طفلاً . فقال  
لها : ( الى اي اله اعظم مني تقوديني اليوم ؟ انا رب فوق كل الارباب .  
لا يوجد اله مثلي وكيف باله فوقني . ) وتروي الاسطورة انه عندما دخل  
المبكل تحركت الرسوم وسعدت عند قدميه ، وتناطت عليه صبول من

### الزهر لحيته

حاضه ابوه بالراقصات ، وروحه من الاميرة باسمو درا • Yaçordhara •  
 فكادت حياته عرسا دائما • وكان ابوه يقول • « لا تقطعوا حلقه عن  
 الموسيقى والعناء • لتكرر الحياة سلسلة من اللذات والالعب وتظهر النساء  
 هوايتهن • ليهيمن على الامير اشباب لكي لا يتحول ذكوره المسحور الى  
 الناحية الدينية •

واكرر الاب المسكين لم يتبع في حياته • فعندما بلغ لاميير التاسعة  
 والعشرين من عمره تحققت مؤنة البرهمي الراهب ورأى سيدون كوياما شيئا  
 عفت لستون عليه • فعمر ان هذه نهاية كل محن • ورأى عليلا يتألم فعلم  
 ان كل انسان سينأى عاجلا أو آجلا • ورأى حنة عمسة تحمل احراؤها  
 فادرك ان الانحلال هو بهاء كل جسم مركب • ورأى حبرا راهبا تائها  
 زاهدا عادي • الوجه مطمئن الخاطر شعر عسندان لبد ثدياني تنعم بها في صرح  
 الامارة زائلة • داب وراء ذلك استر اعصى حياة الية وصورا قبيحة  
 للمجتمع الانساني • فقرر الاعتزال عن العالم • وعاد القصر الذي بناه له  
 ابوه • وهو العواني الملاح • الخوازي الصباح • والادوار المترمة والحاسر  
 الشادية يصي في سكون المانة • صمت لطيفة • الى صوت يحمل اليه  
 الحقيقة • حقيقة لوجود •

تاه في مقاطعات الهند معشأ عن عابته • مسائلها كل من يراه في  
 طريقه • فاذا في كل زاوية راهب برهمي سلحه حريقا للوصول • اذ به  
 يتم عن الطعام ويتشقق وبوهي حسه ويتطير الاتصال بالفس السكلية  
 حسب الطريقة البرهمية القديمة • ولكنه لم يتبع في محاولته • فادرك الراهب  
 وقرر ان يتوصل الى عسايته بنفسه دون ان يتأثر بتعاليم الفرق الملعية اب

الدينية التي كانت منتشرة آنذا في كل مكان .

توجه الى ديبلا حيث قدمت له حدى المعانز طبقاً من الذهب فيه  
لبن وازر وعسل تحمل الهدية وسار بها الى صفة سامية بيرانجارا *Neranjara*  
فاغتسل فيها ثم اكل الطعام ودعى بالطق في الماء وقال : « ليطف هذا الطبق  
وليحر معاً كساً للمحوى دا كنت اصبح بود هذا اليوم . او ليسر مع المحرى  
اذا لم يكن هذا . » فادار لطقى الذهبي بصعد النهر وتنحلق امنية كوتاما .  
عندئذ احاط به الشيطان مارا « *Mara* » وراد ان يشيه عن عزمه  
فارسل اليه باناء الثلاث لسعون : اللذة والاثم والخيرة . ثم بعث اليه ايضاً  
محيوس من الشياطين لكي تحوله عن عاقبة هم مسيح .

ذكر في سكية معه فاد باخيفة تسطح كانهحر ، واد به يدرك  
الحقائق الاربع التي قام عليها مذهب البودي وهي :

- ١ - حقيقة الالم . ٢ - حقيقة عدم الام . ٣ - حقيقة ملاءاة الام
- ٤ - حقيقة معرفة الوسيلة للاءاة الالم

عندئذ تغير وجه السكون . وبوزت الطليمة في ثوب العرس لان  
كوتاما بلغ درجة بودا .

اصبح بعد ذلك رئيس فرقة كبيرة من المتقسين الذين يشعرون في حياتهم  
طريقة واحدة ويمتعدون عن انسلم ويتركون اموالهم واولادهم ويحجم  
ويتحولون الى الزهانة . وقد دعيت هذه الفرقة في ال عهدا  
بالببخوس « *Bhikkus* »

وقف بودا في احد الالام بينهم يقول :

« اسمعوا ايها ليجوسون حقيقة الام السامية . ان الولادة هي ألم . والحرم  
لم . والعلة ألم . والموت ألم . وجود الاشياء التي يكرها ألم . وابتماد



التي يحبها ألم . وعدم التوصل الى ما نرغب فيه ألم . وحلاصة لقول : ان كل تعلق بالوجود ألم .

« اسمعوا ايها اليبخوسيون حقيقة مسم . لآلم السامية . ان التملش الى الوجود يقودنا الى الولادة مرة ثانية ، وفي سواربعة تدفعنا الى المدة والطموح .

اسمعوا ايها اليبخوسيون لحقيقة السامية في ملاشاة الآلم . بها في القماء على كل عاطفة ، والخلاص من كل طموح ، القماء على الرعة . اما الطريق التي توصلنا الى ملاشاته فهي الارادة الكاشفة . لكلام الصادق والاحلاق الصالحة والتأمل الحقيقي . هذه هي الطريق التي تمنح العيون وتقوي الروح وتوقد الى الراحة والاشراق . البرهانا . ان لرعة هي سبب التماسخ ، والتماسخ سبب الآلم . فاداً نزعاً الرعة من صدورنا نخلصنا من الآلم . »

وقد كان بود بحصن ناسية على حياة الفقر ولتوكل الاشعاد عن الازل كما يعلمهم الخلاص من اربعة والآلم . كان يقول : « ان الذي عنده اولاد ينصرف الى اولاده . والذي يملك انقاراً ينصرف الى انقاره . كل ما يملكه يسبب لنا الطموح . ولكن لذي لا يملك شيئاً ليس لديه هم . »

يرى ان احد الرهبان ، وهو يدعى ماسكاسمي « Sangama » . كان رافداً في ظل احدي الاشجار بعداده . في حدائق جيتافانا « Jetavana » حيث كان يقيم بودا آشد . فاقترعت منه امرأته وهي ممككة يدها عنها وقالت : « هذا منك فاعن تربيته » فلم يمس الراهب بكلمة . واعادت لآلم كلامها صرات عديدة ولكنها لم تخط بحواب . فركبت العلام قرب لراهب ابيه وذهبت . ولكنها عندما بتعدت نظرت الى زوجها فادانه لم يبر الطعل انشاهه ولم يلق عليه نظرة . فبشت منه وقالت في نفسها : « انه لن يعتني

به . ثم عادت فأخذت سها ، كوت راحة من حيث أنت . وكان المعلم  
 يودا يتأمل في هذا المشهد فاقرب من الزايف وقترطه بهذا الكلام « لم  
 يسر بقرنها ، لم يحزن لعدوها . ن ساسكومي لا تنوءه علائق العالم ،  
 فهو برهمن حقا » وقد كان يعلم معنى هذه الكلمة لرجل الحكايل .

هذه بعض تعاليم قامت عليها الودية . فإذا تجمع عير من البراهمة  
 يعتقدونها ، وإذا بالحر كة الدرية الرهاية التي امتزجت بها بلاد الهند في  
 القرن الخامس قبل المسيح نشعب وتنظم . وإذا بوذا يريد في كره الحياة  
 للمادية ، وإذا بالرهاية الودية فتحقق أمل المتعطشين إلى السعادة الآخرة .  
 مقامات الأديار ، وأثبتت أسطهم وأساعج ، ورئت الأعمال ، ووطعت  
 السمادات والصلوات ، وإذا بهذه الرهاية فترج بالعرفق البرهمية العديدة  
 فيعدو من شره ، بالحرط في سلك الجماعات لزهد بالدينا وحياة الفقر  
 والتوحيد ، حتى الرأس وليس الحرقه الصفراء . ، تقسم الرهسان فيما بينهم  
 إلى فئات عديدة تختلف حسب القدم و تولادة ، لاستعداد ، فمهم المدرب  
 المرشد وسهم المرشد استدي ، الذي يخدم ويقوم بجميع الأعمال التي يطلبها  
 منه لمجموع . ومهم الرئيس الذي يجمع لأمره جميع الرهسان .

كانوا يعيشون على الاستعداد ، وباءون إلى أديارهم الفخمة التي بناها  
 لهم الأمراء والملك ، كما كان كديبتهم ، ويتأملون تحت الأشجار الكبيرة  
 ويحاولون لتوصل إلى السكر لوهي . ولا تتم هذه الحال عندهم إلا بلاشاة

الاحساس التفكيرى ، فيصنع الزمان في السماء المطلق او النيرفانا (١)  
 يستخرج من كل ذلك ان فقره هود كثيرا بحيث ان معردين في  
 ادبارهم ، تائبين في امساكات ، وتكون في حياتهم لسكية نظاما كالذي  
 وراء عند المتصورين لمسلمين واهمال الميحيين ، بدسب مشهم حرفة  
 تفرهم عن سواهم من اساس ، والكل فريق مهم يرمي في عاية مثلي اخلاقية  
 لا تتحقق الا بالتخلص من العاء الحسي ، لتتقرب من الحق المطلق فيوجدون  
 لذات الطرق لصاغة اني دعاها مشهور العرب بالمقات ، الاحوان ، دعاها  
 فقرا ، اشد بالخضمان الجديدة ، فادراك عشرة دهر بحب اعتبارها وهي :

- |   |             |    |                     |
|---|-------------|----|---------------------|
| ١ | قل من دي كل | ٢  | استحلال اموال الناس |
| ٣ | لزام        | ٤  | الكذب               |
| ٥ | النيمة      | ٦  | البذاءة             |
| ٧ | الشم        | ٨  | شاعة الالقاب        |
| ٩ | السف        | ١٠ | احمد لحراة الاحرة   |

وإذا بشر خصمان يحب التعلق بها وهي :

- |   |                               |
|---|-------------------------------|
| ١ | الجود والكرم                  |
| ٢ | لغو عن السي ودود الغضب بالحلم |

(١) لم تحتص البوذة بهذه الكلمة وإنما شاركت فيها البرهمية التي  
 كانت تذهب الى ان النيرفانا هو التخلص من التنسج عند ما توصل  
 اليها النفس المردة الى الاتصال ، نفس الكلمة ، ولكن اموذبة لا تستفد  
 يمثل هذه النفس . فهي تذهب الى ان النيرفانا هي في القضاء على الرغبات  
 والتوصل الى العناء المطلق .

## ٣ - التصف عن الشهوات الدنيوية

- ١ - التخلص من العالم العاني الى العالم الباقي
- ٢ - رياضة العقل بالعباد والادب ، كثرة الطرقي عوقب الاذور
- ٣ - القوة على تصرف النفس في جانب العليا
- ٤ - لين القلب ، طيب الكلام مع كل واحد
- ٥ - حسن معايشة مع الاخوار باشار اختيارهم على اختيار الدوس
- ٦ - الاعراض عن خلق لكافة ، لتوجه الى الحق بالسكية
- ٧ - نذل الروح شوقا الى الله ، ونوصلا اليه . (١)
- ٨ - وقد اختص بعض الوديع لابر طلق عناصير على فكرة المعلم براحل
- ٩ - صوميه تكاد تكون من المقامات ابر بدرها في فصل آخر
- ١٠ - فدر دأر تلخص الله بين العريتين تايلي
- ١ - الابتعاد عن العالم
- ٢ - الزهد والتشف

## ٣ - احبائه التثمة ، لبقيدة ضمن - مدر ، الادبر

## ٤ - المقامات الروحانية التي تم حل في احايه

ولكن رغم هذه الملامات ، الله التي تجمع بيننا ، هنالك خلاف كبير في احايه التي يرمي اليها كل منهما . من الله ، ومن المسلمين كانوا يرمون الى التخلص من سطوة النفس الامارة بالسوء ، لتصور ربه ، فهم شيئا فبيده اخصال الحميدة فيتوجه ، الى مساعدة الحق . جاءه . وكانت غاية

(١) راجع الى : التحل للشهرستاني على هامش الفصل لابن حرم

ج ٤ ص ١٣٥ - ١٤٢

البوديين اسماء ايضا . ولكن انسابيين مختلفان ، لان البودي لا يعتقد بوجود « الله » ، وإنما يعلم بوجود قوة عديدة كمن يسمي بعض رجالا عاديين ، امتيازهم بحسن صبرهم و عمامهم خيرية فتطهروا وتخلصوا من الشاسح وانتقلوا الى السماوات . فليس هناك دأله واحد ياتي لتصوف البوذيين اسمه فيه كما يفعل لتصوف مسلم . ثم ان اسماء البودي او البيرفانا هو في القصص على شخصية المتصوف ما اعتاد مسلموه اما « سقوط الاوصاف منه » كما يقول الفقيه ي . واما روحوخ لروح الى معنى الاول كما يرى ذلك في لافلاطونية الحديثة

وقد نزلت بعض الامكار البوذية لخطرة منذ عهد ابي علي السندي استاذ الديلمي ، ظهرت ظهوراً واضحاً عند الخلاص الشهيد المعصومي المشهور فقد قام برحلات طويلة في الهند طده وقف على تعاليم البوذية المعدلة المتطرفة في اديها ، عند بعض الشعوب ، عادتها الى اللاد الاسلامية واعربها بملابسها بالناس العاديين ، فربدين المؤمنين واشوح الشاكين ورجال الدين المخادعين . وقد بلغت به ثقته بعبادته وتقديره لغيره في الشهادة لخدمته من طرفه رسام ، قيام بالمجاهرة بصدقة ما بهم ، الى الادعاء بان علي اتصال وثيق بالله ، به صبح في بعض الاحسان الله نفسه فيحكم بعبادته ، يحمل به الله لا ياء ، الاساء الحق وهذا تطرف في الاقوال ، وهذه الاحاديث للدينية مدقة في الكفر ، لثبوتها ثم نزلها شها في المدرسة لاسكندرية ، لرهانية المسيحية ، به رها لاسكندرية اسلام الذي يحمل على انه بعد حجة قاداته عمته - تراها في مذهبه الذي يحمل من الارباب بشراً كما هو الكهنة يوقن الناس العاديين ، به عرفتوا الحقائق الاربع التي تقدم الكلام عنها ، وادركوا انها تفودهم الى

الرتبة العليا من الوجود ، فلماذا يدعى لهم آدآ ؟ ولماذا يعني الرؤوس امام  
عظمتهم ؟

ولا يكن الاسلام لم يكن مستعداً لمصم مثل هذه الافكار ، لان التوحيد  
لا يقل الخذل والشك ، فطلت هذه الآراء تخمر في بعض "نوس حتى اذا  
طهرت عننا لاقت من الاضطهاد ما لا فاه الخلاص وللهوردي صاحب  
هياكل الانوار .



## التصوف العملي

كان المتصوفون يعيشون في ازل الامر افراداً ، لا تجتمع بينهم وحدة المذهب ولا تربطهم رابطة امداء . فيصرف كل واحد الى نوع خاص من الحياة ، ويؤلف نفسه نظاماً يشمه ويسير عليه من طعام وشراب وحلاوة وسهر وصيام وزهد . وذلك لان التصوف كان لا يزال في عهده زهدى ما تحول بعد الى مذهب منظم .

وسكهم لم يثاروا على هذه الخطة طويلاً فجمعت بين الافراد جامعة العاطفة ولعاية ، فاداسهم متاعون وبتقاربون وبظمون حياتهم تنظيماً دقيقاً ويضمون قلوبهم محدودة لاناسها والسير بحسبها .

لم تظهر الجماعات الصوفية الا في متهل القرن الرابع هجري بعد ان داع اسرها وكثر حالوها وانتشروا في البلاد الاسلامية . ولا شك في ان اول جماعة منظمة تدعى بمذهب خاص وتدايع عنه وتتعاون في امورها هي الجماعة المصرية ، ثم الجماعة الكونية ، شأتا على حدود فارس ، وانفتتا في العاية واختلفتا في الخزيات كالسماح والذكر والاسانيد والسطح .

ولكهما هدتا الطريق لروح امدام الشيوخ في امدن الاسلامية . فاذا في كل مدينة زعيم كسبير ذو كرامات واحاديث لهدية وصلاح وتقى ، يصرف وقته في الصمد والتفتش وتدريب الاحداث واصداء النصائح ، واذا بالمتدسسين من المتصوفين ، من حدود الهند الى اقصى المغرب واسبايا ،

ينادرون ببلادهم لقاء هؤلاء الشيوخ والاستماع اليهم والتمس من هديهم .  
 واذ بنا نرى التصوفين يتحولون من حضر الى قوع حديد من البدء الرحل ،  
 ينتقلون من مكان الى آخر ، حائرين ، كأنهم يفتشون عن حاحة فلا يجدونها  
 او كأن نزعة نفس اللاهوتية الفلسفية الحائرة المتوشة قد وجدت دواءها  
 في هذه الرحلات الطويلة المديدة التي تكاد لا تنتهي .

وقد ساعد هذا الانتقال والتمازج والامتصاص في إيجاد رابطة قوية بين  
 مختلف الفرق والجماعات . ولا سيما في احداث لغة خاصة بهم يتكلمون بها  
 ويمبرون بمردتها عن احوالهم النصابية واغراضهم الدينية .

### اشتقاق اسم التصوف :

كما اختلف الناس في شرح مذهبهم وتقديس شيوخهم ، فقد اختلفوا  
 ايضا في ابط الامور التي تتعلق بهم . فلماذا دعوا باسم المتصوفة او الصوفية  
 ولم يعرفوا بغير هذه التسمية ؟

خصص المؤرخون ، الدينيون لهذه النقطة صفحات كثيرة ، واسهبوا في  
 الكلام عنها . فادلى كل برأي ، واذكر كل منهم فكرة تناقض فكرة  
 سابقة . ولكنهم لم يعتمدوا القول بان اسم الصوفي مشتق من الصفة ومن  
 صوفي او من صوف :

اما الصفة فهي مكان في المدينة كان يحتج بهم فيه ما يريد على ثلثائة من  
 المسلمين الصالحين الزاهدين في ايام النبي ، لا تحرك الدنيا لهم قلبا ، ولا  
 تؤثر فيهم تجارة واموال ، وغا صرهم واجههم الى ربهم يتعبدون له ويهتجون  
 باسم آخرتهم . وكان اكلمهم في المسعد وبومهم في المسجد . يتفق عليهم



من مال المسلمين ، ويكرمهم الناس لشقوا مصلحتهم وقربهم من الرسول .  
 وكان النبي يؤاسهم ، ويجلس معهم ويؤاكلهم ، ويبحث الناس على  
 كرامهم واحترامهم . حتى بلغ من اعزازه لهم - كما يروي اصحاب  
 الحديث الى انه كان لا يقوم من مجلسه اذا جلس اهل الصفة حوله حتى  
 يقومون ، وكان اذا صاحهم لم يزع يده من ايديهم قلمهم ، وكأنا بالرسول  
 قد شعر عندئذ بالدور الذي يقوم به هؤلاء الجماعة في هامة المسلمين ،  
 وبالروح الجديدة التي يشونها ، فيصفون صلة المرء بالعالم ويوثقون صلته بربه  
 فكان ينزلهم ضيوفا في بعض الاحيان على الموسرى ، لاعياء بحسب غنائم  
 وثروتهم . فيحن هؤلاء بهم ويستقلونهم على الرحب والسعة ويهشون لهم ،  
 وينفقون عليهم بسحاء وكرم تقربا من الرسول ومن الله .

ولكن اهل الصفة - رغم ما كان لهم من احترام واكرام - فانهم  
 لم يأخذوا من اهم مضيعتهم الا الليل الذي يساعد على ابقاء الرمي : طعامهم  
 بسيط يسير ، واجسامهم ضامرة ، وعيونهم غائرة ، وثيابهم متهرئة « يا كلون  
 اكل المرضي ، يامون يوم المرنى » . فقد قال ابو هريرة : « رأيت سبعين  
 من اهل الصفة يصلون في ثوب ، منهم من لا يطلع ركبتيه ، فاذا ركع  
 احدهم قبض عليه بيديه مخافة ان تبدو عورته » . وقد روي في الخبر ان النبي

وطلب على جماعة من اهل الصفة وقد استتر بعضهم ببعض من العربي ، وقاري  
هراً عليهم القرآن وهم يسكون (١)

هؤلاء هم اهل الصفة ، كان منهم بلال مؤذن وسلمان الفارسي ، فاذا  
صبح زعم المؤرخين الذين يقولون بان كلمة التصوف او الصوفية هي من صفة  
عاب ذلك بثبت ما يوصح وحلاء ، الاثر الاسلامي في التصوف وشأته ،  
ثم بين لنا ايضا ان التصوف لم ينشأ في القرن الثالث او الرابع ، وانما نشأ في  
حياة الرسول ، وظن ان هذا الرأي ضعيف ، انه ليس سوى افترض  
لا حط له من حقيقة .

واما الذين يقولون بان الاسم مشتق من صوفي ويقولون ان  
الاسم في يوم الحساب يحصره ثواب والثواب ، فيردع الله الصالحين اليه  
ويطرح الطالحين في النار ، اما الصالحون فهم على رتب معروف ، هي مؤخرة لناس  
الذين لم يعملوا سوى القليل من الخير والحسانات ، ثم يأتي امامهم من هم  
كثير منهم خيراً ، اعمالاً حسنة ، ثم يتقدمهم فريق اكمل ، الى ان تبلغ  
في آخر الامر الى الصف الاول ، وهم خير الناس قاطبة والقرهم الى السكالك

(١) وما ظن هؤلاء — اهل الصفة — كانوا في السجدة كفقراء  
لنكاح اليوم بأكوار وبنسوة ، واصون ولا يعملون ، والحقيقة انهم اول  
من يارح للفتن ، اذا دعا داعيه ، فكلما ثبتت حرب طاروا اليها يحاهدون  
بهم . فكانوا بمثابة الجنس المائل الواثق على قدم الاستعداد للطواري .  
ولا كثر عدد المسلمين ، وزادت الاموال في ايديهم ، ولم يبق من حاجة  
الى بقائهم على هذه الحال ، اخرجهم عمر من السجدة ليكموا انفسهم اوزانهم  
قد كان بينهم ، بين من يترك السعي ، العمل ، متكللاً اتكالا غير مشروع ،  
فرق بعيد المسافة . (الشيخ الملايكي)

المطلق والصالح اللامتناهي ، وهؤلاء هم المتصوفون . فالتصوفون أدنى من الصنف الأول . فإن أصل اسمهم معوي ، فاستقل ذلك وحصل صوباً ، وهذا الرأي أضعف من الأول ، لا يعتمد عليه .

ولما الذين يذهبون إلى أنه مشتق من انصوف فهم أكثر ، منهم السهروردي صاحب كتاب عوارف المعارف والطوسي صاحب كتاب اللهم ودين خلدون . انفقوا على أن هذا الاسم أطلق على المترعدين لأنهم كانوا يرتدون الثياب الصوفية . ويتشهدون على ذلك بمطابقة هذه التسمية على لاشتقاق الأموي فنقول : تصوف ديس الصوف ، كما نقول تقمص ادا لیس القميص . ولهذا الرأي قوته وزنه ، لأن العامة في جميع الأمم وفي كل الأزمنة يطلقون على كثير من الأشياء أسماء توفق لظهور الخارجي . ثم إن المتصوفين لم يعرفوا بهذا الاسم إلا في البلاد العربية والحدود الفارسية ، وذلك لأنهم يرتدون الصوف ، وأما في داخل فارس وتركستان وأندلس لم يسموهم لا يسمون هذا الاسم لأنهم لا يتعدون الصوف لهم لباساً ، يسمون الدرايش .

المقراء .

وقد عثرنا على استشرقين (١) على رأي طريف يريد أن يذكروه لعراشته ، وليس لموافقته للحقيقة . فهو يذهب إلى أن كلمة « الصوفية » ليست سوى مجموع أحرف جفربة تعني : « الحكمة الإلهية » . يرى أن مجموع الأرقام التي تمثل الكلمة الأولى بطريقة حساب الجمل تعادل مجموع أرقام المسارة الثانية . وقد قننا هذه العملية الحايية فإذا باعقرة اثناية ضعاف لاولى .

ونظن أنه لا يقصد كلمة « الصوفية » و « الحكمة الالهية » كما ذكر  
ذلك بل يريد « الصوفي » و « الحكيم الالهي » وهما متبادلان في مجموع  
أرقامهما - وهذه هي العملية :

الصوفي	الحكيم	الالهي
٠ ١ = ١	٠ ١ = ١	٠ ١ = ١
٣ ٠ = ٣	٣ ٠ = ٣	٣ ٠ = ٣
٦ ٠ = ٦	٠ ٨ = ٨	٠ ١ = ١
٠ ٦ = ٦	٢ ٠ = ٢	٣ ٠ = ٣
٨ ٠ = ٨	١ ٠ = ١	٠ ١ = ١
١ ٠ = ١	٤ ٠ = ٤	٠ ٥ = ٥
		١ ٠ = ١
١٨٧	١٠٩	٧٨

$$٧٨ + ١٠٩ = ١٨٧$$

$$١٨٧ = \text{الصوفي} + \text{الحكيم الالهي} = ١٨٧$$

$$\text{الصوفي} = \text{الحكيم الالهي}$$

والصوفي هو إذا الذي يعيش عن الله ليحده وليتمتع به .  
و قد عرفنا ان المتصوفين من عرب واجانب قد اعرموا بمثل هذه المعادلات  
المديدة والحسابات الجلية ، انها انتقلت الى العبرية ، والى اليهود الذين  
شغلوا بالفلسفة والسحر والكيمياء القديمة ، وان اس عربي قد استعملها في

كثير من كتبه وفي مواضع عديدة ٠٠٠ اذا عرفوا كل ذلك حاز بان  
نظر الى هذا الرأي بشي من الاعتبار .

نقول هذا ونحرم من الذين يشاركون السهروردي وسواه من شيوخ  
التاربيخ لصوفي القائلين بان اللفظة مشتقة من الصوف . وذلك بلا اعتبارات  
التي تقدمت ، ولغيرها من الدلائل التاريخية .

فقد ظهرت هذه الكلمة -- كما يقول ماسبيون -- في النصف الثاني  
من القرن الثامن المسيحي ، ذكرها جرير بن حيان السكي في الشيمي الكوفي  
الذي كان يذهب مذهب التشفى . ظهرت لأول مرة في مدينة السكوفة .  
اما الطوسي فهو ينسب على السكوفيين ومن السكوفيين احداثها ، يقول  
انها كانت معروفة في ايام الحسن البصري وقد استعمالها في قوله : « رأيت  
صوفيا في الطوف فاعطيته شيئا فلم يأخذه وقال : ممي اربعة دو يبق فيك كوفي  
ماممي (١) » ويؤكد انها كانت معروفة في المعاملة وكان يستعملها المتدبون  
المتعبدين للاوثان .

وخلاصة القول ان المؤرخين احتلوا في اول من استعمال كلمة الصوف  
ولي اصحابها ، ولكن الثابت واشهر هو انها انتشرت في اخر القرن الثالث  
المجري ، وانها مشتقة من الصوف الذي كانوا يرتدون .

### رغب المتصوفين :

كاتب العاطفة الصوفية من الروبط المثبتة التي ربطت قلوب المتصوفين  
لحملت منهم جماعات بعد ان كانوا افراداً متفرقين مستقلين . انقسموا في

روحانيتهم واعمالهم و استعدادهم وصلاحهم وحبهم لله الى رتب ودرجات عديدة . فاداءهم يسرون حسب نظام دقيق يكاد يشبه ما رآه عند « اخوان الصفاء » . هناك المريد المتدي ، وهناك المتدوج ، وهناك درجات كثيرة متعددة تعدد الاحوال واماكنات ، وهناك الشيوخ وحبقاتهم والاقطاب الذين تمهوا حكمة الكون ، وجمعوا في صدورهم سر الامرار وامم الله الاعظم . وقد اتفق اشهر المؤرخين من المتصوفين على حصر الدرجات فيما يلي :

١ - المريد ، وهو المتدي الذي حاول ان ينضم الى حدي الفرق المنظمة .

٢ - السالك المجرد ، لا يوهل للمشبعة ، ولا يقدر على بلوغها بقاء صفات منه عليه . فيقف عند حطه من رحمة الله في مقام المعاملة والرياضة ولا يرتقي الى مقام آخر .

٣ - المحذوب المجرد ، وهو الذي يرفع الحق عن قلبه شذنا من الحب ولا يوهل للمشبعة ، يقف عند هذا .

٤ - السالك المتدارك بالجدية وهو الذي ترفع عن قلبه حجب شبه اول الاسر ، ويتوصل الى رؤية الحق ، يتخلص من قيود داته وامر صفاته الحمائية ، ويقدر ان يقول : « لا اعد رسا لم اراه » . ثم يقوم بجميع الواجبات الصوفية دون عناء واجهاد للجسم . وهذه هي اعلى الرتب التي يقدر ان يتوصل اليها المتصوف .

في كل فرقة وفي كل حلقة متصوفون يحتلون فيما بينهم بالرتبة والمقام والحال . اما مرجع كل هذه الفرق وكل الشيوخ الذين يتوسلون بها هو لقطب . فالقطب هو لرئيس العام لحركة التصوف في البلاد الاسلامية ،

وهو الوحيد الذي احتل اليه العلم الحقيقي واسم الله الاعظم في عصره ، وهو الذي عرّس عالم الشهادة وعالم الامر ، ولا يجوز ان يحمل هذه الاسرار رحلان في عصر واحد ، لذلك لا يجوز في شرع التصوف ان يوجد قطبان في وقت واحد معاً .

والكن ما هو اثره المباشر في كل العرق لمتعددة التي نشأت في بلاد فارس والشام والحجاز والعراق ومصر ؟ وما هو ملم سلطته على نفوس المتصوفين ؟ وهل كان قادراً على كبح جماح نفص العرق المتطرفة ، او على تحويل مجموعها الى هدف رئيسية دنية ؟؟

نرى انه لم يكن للقطب من هذه الحكمة العالمية ولم يكن منسجماً على ارادة الشيوخ ورؤساء العرق . وانما كان مشغولاً بشهراً ، ذا علم واسع واحلاق رصية وهنارة مشهورة ، اعمال مشكورة ، اشتهر بالصلاح والتقى والصوم والصلاة والخرج الى الامكنة المقدسة وتأليف الكتب التي تثبت الاصول الدينية والصوفية . واطهر الكرامات وطلق بالاحاديث اللدنية ٠٠٠ فاذا احتضمت هذه الصفات في رجل واحد كانت قلوب المتصوفين تجمع على المتابعة نه قطبا دون ان تسلمه زمامها ودون ان تؤمن له السلطة المتأيدة والكلمة المسموعة في كل الامور .

### شروط الارادة .

هل يقدر جميع الناس على الانصياع في سلك الجمعيات ؟ ما هي لوجهات التي يجب ان تتوفر في الرجل لتقبل في صفوف المريدين ؟ وما هي المراحل التي يجتازها المريد ليتم الوصول الى احدي الدرجات الصوفية ؟ وما هو موقعه تجاه

شيعه ورئيسه ؟ وكيف يطوّر نفسه من الانام ؟ .

ان شعار المريدس المتبعدين عن الدنيا المحرطين في سلك التصوف هو لبس الخرقة . فيسمى المريد سيّد . ول من ساء الى شيخ فيتقرب منه بلبسه خرقة الاردة ، وكثيراً ما يكون لونها ازرق . وقد يبدأ الشيخ يشطّ حمته ويصف له ما يلاقه في حياته الجديدة من الالم والشقاء والحرمات ، وما هو تارك من نعم ، وترف ، لانهم لا يقبلون في عدادهم الا من انصف بارادة جديدة لا تؤثر فيها مطامع العالم ومشاربه وولذاته . وقد يكون الشيخ رقيقاً لبشحمه ويلبسه الخرقة وينصحه ويستتره في زهده وتمده . ويرسم له حطة السير الى الحق ، ويقوم امامه بالمروض الدينية ويعلمه كيفية اقيام بكل واحد من الواجبات ، ويجعل من ماله قدوة صالحة له .

روى ابو النجيب السهروردي شيخ صاحب كتاب عوارف المعارف وعمه الحادثة الآتية : « جاء بعض ابناء الدنيا الى الشيخ احمد العمري ونحن ناصيهان يريد منه خرقة . فقال له : اذهب الى فلان ( يشير الي ) حتى يكلمك في معنى الخرقة . ثم احصر حتى التملك ايما . قال : جاء الي فذكرت له حقوق الخرقة ، وما يجب من رعاية حقها وآداب من بلبسها ، فاستعظم الرجل ذلك وسبح . فاخبر الشيخ بذلك فاستحضرني وعاتني على قلبي به ذلك وقال : بعثته اليك حتى تكلمه بما يزيد به رعة فردته رعة » (١)

وان اجتاز هذه العقبة وسجد من بابسه الخرقة لزرقاء ويسد خطاه فانه يعتمد الى انواع العبادة والتقشف بحالها ان يهلك حسه ويظهر روحه . فهو يستعد عن الزواج في هذه المرحلة لان ذلك يجمعه من السلوك ويدقعه الى



الاس يزوجه عوضاً من الاس دة . وقد قال ابو حنبل الدارقي : « من  
 تروج فقد ركس الى الدنيا » وقال : « ما رأيت سريداً تزوج ثبت على  
 حاله الا اول (١) » . ويمد الى الخوع يحارب به الحد ويطرد وساوس  
 الشيطان . فاذا جوع بطنه وراض به امتدت عنه التعارب لان اشبع  
 كما يقول المتصوفون - نهر في النفس توده الشياطين . والخوع نهر في  
 الروح توده الملائكة . وقد قال السهروردي : ينهرم الشيطان من حاتم قائم  
 فكيف اذا كان قائماً ؟ وبما يق الشيطان شاماً قائماً فكيف اذا كان  
 قائماً ؟ (٢)

ويمد الى السهر في التعبد لان الله يحب الساهرين المتصدين ولانه يطلع  
 على قلوب المستيقظين في الاسعار فيملاؤها نورا . وقد يقوم بحمد المتصوفين  
 في زواياهم وسبع قضاء حوائجهم تقرأ من الله ومن الشيخ ونذيل للنس  
 الخائفة . ولا بد له من معاشره الشيخ المير لانه لا يعرف وحده الطرق  
 التي توصله الى غايته . فالمرشد وحده بقدر ان يخرج ما في القوة الى الفعل  
 في روح المرشد . وعليه ان يلزم السكوت ولا يقول شيئاً محصرته من كلام  
 حسن او غير حسن الا اذا امره بذلك . فهدفه ان يصفي لما يلقه عليه الشيخ  
 من العظات والنصائح . لان الشيوخ للمريدين واسطة الالهام . وقد يبلغ  
 حب المريدين لشيخهم الى تفديسه واحتفال الاعانات منه كما روى ذلك ابو  
 عثمان فقال : صحبت أبا حمص . انا علام حدث فطردني وقال : لا تخش  
 عندي . فلم احمل مكافأتي على كلامه ان اوليه طهري ، بل انصرفت امشي

(١) الغزالي : الاحياء ج ٣ ص ٨٧

(٢) السهروردي : عوارف المعارف ج ٣ ص ٢٢٣

الى حلفه ، ووجهي مقابل له حتى عت عنه . وصممت ان اعترف لنفسي بشرا  
على ما به وانزل واقعد فيها ولا اخرج منها . لا باذن منه . فلما رأى ذلك مني  
قربني وصيرني من خواص اصحابه الى ان مات (١)

فلا ارادة للمريد اذا امام شيعة ولا سبيل للوصول لله الا في ارضائه  
والامتثال لامره لانه اذا صحه وتادب بادابه يسري من باطن الشيخ حال  
الى باطن المريد كسراج بفتيس من سراج . فتفتي نفس المريد في الشيخ  
ويصير بين الصاحب والمصحوب امتزاج وارتباط بالصفة الروحانية . ثم لا  
يزال المريد مع الشيخ متأدما بترك الاختيار وعاء لذات حتى يرتقي من ترك  
الاختيار مع الشيخ الى تركه مع الله . وقد تمت معالجة في الطاعة العمياء  
وتتبعنا اوامر الشيوخ الى درجة لا يتصورها العقل . كان المتصوفون  
يتناقلون ان على المريد ان يكون بين يدي شيعة كاليت بين يدي العامل  
فلا يحطر له حاطر اعتراض ولو رآه قد حالف الشريعة . كل شيء يقوم به  
الشيخ هو مقدس . ان حالف فرعاً او اصلاً من الاسلام فليس معنى ذلك  
انه كافر بل لا بد ان يكون له عرص في ذلك لا يفسده ادراك المريد  
المتبدي . فالاجلال والتفديس والطاعة العمياء هي التي تؤلف الشخصية  
الحديثة في كل متصوف متعدد .

ينظر الى شيخه نظره الى الاساتذ الكامل الوحيد الذي يقدر على  
ايصاله الى مرحلة الكمال الاخيرة ، الى رؤية الحق . لذلك يقول ابن عربي  
في معرض النص للمريدين : « ان خلق شيخك امرأة فلا تتروحها . ولا  
تدخل عليه الا وقلت يده واطرقت . ان سافر وتركلت في موضع فلابد

المكان الذي كان يقعد فيه . ويأدره بالسلام في كل يوم في الاوقات التي كنت تأتي اليه فيها كأنه ما عاب .

لنسان شكرو في صلح تأثير الشيوخ في ارادة المرید وما يستمتع ذلك من عايات سياسیة و غیر سیاسیة واهواء يحاول ان يحققها الشيوخ بواسطة مریدهم (١) . فليس بالعريب ان يلعب هؤلاء المرشدون دوراً اساسياً في قيام اممنا لك وسقوط السلاطين كما حدث ذلك في تاريخ المغرب . فقد كان الامراء والسلاطين يتقربون من الشيوخ ويقدمون لهم المساعدات سنة تختلف باختلاف مقدار المسكاة التي لهم في قلوب تابعيهم . وكانوا يشيرون لهم الزوايا والتكايا ويقفون لهم الاوقاف وينفقون عليها اسعاه . كل ذلك تقرباً من الشيوخ .

(١) لا ريب ان هذه كانت هدف كثير منهم ، فكان منهم المخلص لديه وامته ، وهم اللحد المباح المدام . من هؤلاء الباطنية الذين اتحدوا الاسلام والتصوف . سيلة لهدم الاسلام ، طعن العرب . وهم — وان لم يلفوا كل ما ارادوا — قد بلغوا مضه . وما ضر الاسلام الا من صرف قوته في الدين والدنيا الى صنف في الحياة الدنيا باسم التجرد الروحي . وقد ورد في القرآن الكريم : « ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة » وجاه فيه : « بسأوت عن الطيات » قل هي الدين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة . وجاء في الحديث : « اعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا واعمل لآخرة ككأنك تموت غدا » ( الشيخ الغلاييني )

واطلائاً لاستنهم بالشكر والمدح (١) . ثم ان استقلال المريد واختقاله الى طور حديد يتعلق ابداً بإرادة الشيخ . فهو لا « يعطيه » الا عندما « يدرك » ، وعندما يقدر ان يستقل نفسه . اي عندما يفتح له باب العلم من الله . فاذا بلغ المريد رتبة انزال الخواص والفهم من عند الله فقد بلغ اوان قطامه . ولا يقدر ان يحكم على ذلك الا الشيخ الذي قام بامر تدرجه وسدد خطاه وعلمه طرق المجاهدة والمعاملة . وليس هناك ما هو اشد خطراً على المريد من ترك شيخه قبل قطامه . فانه اذا فعل ذلك يعود الى متاعسة الهوى ، ويناله في الطريق ما يبال المنطوم لغير اواه في الولادة الطبيعية .

### الشعائر الدينية :

الصلاة هي عداة الروح ، كما ان الطعام هو عداة الجسم . وبما ان المتصوفين يحاولون تقوية روحهم ونصرها على الجسم ، لذلك كان لا بد لهم من اهمال امر الطعام والتحول الى الصلاة .

فالصلاة هي التي توصلهم بربهم ، وهي التي تربط اسمهم بيومهم . وليس هناك حياة ملائى بالصلاوات مثل حياة المتصوفين . فيمدان تقرر ان يكون

(١) قد حدث مثل هذا في البلاد النيبية التي حل فيها الفاتحون بعد جلاء الترك عنها . فقد احتوا كثيراً الى من يدعون التصوف وزعامة الطرق الصوفية ، وغروهم بالهيات والصلات والطايات ، فكانوا اطوع لهم من الخاتم في الخنصر . حتى اذا بلغوا بهم ما كانوا يأملون اعرضوا عنهم ، لفقد الحاجة اليهم بعد ذلك « الشيخ النلايبي »

للمسلم خمس صلوات في يومه ، انا بالتصوفين يرون في ذلك اجعافاً يعاطفتهم وبجادة للحسم في كسله فحاولوا الا كشار منها (١) بلمت سبع صلوات او اورد في النهار وحس في الليل . وجعلوا لكل ورد منها صلاة خاصة وادعية معينة يرددونها كل صوب في زويته او مع جماعته .

كان المتصوف يقرأ في ركعتي المعر : « قل يا ايها الكافرون » وقل هو الله احد » ثم يستمر الله تعالى سميع صر وبقول في كل مرة : « استغفر الله العظيم الذي لا اله الا هو » الحى القيوم واسأله التوبة » ثم يسبح الله ويهلله مائة مرة بالكلمات الاربع الجامعة المختصرات التي هي في القرآن

(١) الصلوات المفروضة في الاسلام خمس ، وهي التي تحب اقامتها هي كل مسلم في اليوم واليلة . وهناك صلوات مشروعة تسمى « التوافل » يثاب مصلها على قلبها ، ولا يعاقب على تركها ، وهي تقام قبل الصلوات المفروضة وبمدها . وهناك توافل تقام في الليل وتسمى « صلاة التهجذ » . وهناك ايضاً صلوات غير معينة ولا محدودة الوقت حث عليها الاسلام اذا وجد المسلم فراغاً من وقته ، في يقطه المتصوفة من كثرة الصلاة مشروع في اصل الاسلام ، وليس بما لم يسره ، الا اذا شغله ذلك عن امر دنياء ، فان شغله — بحيث يضطر الى مد يده الى الناس — كان الواجب عليه ان يدع هذه الصلوات التوافل ليكسب بيده ما يقوم باود حياته . وقد ورد في الحديث : « ليس بحيركم من ترك دنياء لآخرته ، ولا آخرته لدنياء ، حتى يصيب منها شيئاً » وجاء فيه : « اليد العليا خير من السفلى » وحله فيه : « لا تكونوا كلاء على الناس » وهناك كثير من الابات القرآنية والاحاديث النبوية التي تؤيد ما ذكرناه ( الشيخ الملايقي )

وليس بقرآن : « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله ، والله أكبر ،  
 واستغفر الله ، وتبارك الله (١) » وهذا أحب دعاء للمتصوفين في مثل هذا  
 الوقت لأن النبي كان يردده عند كل ضحي .

وبعد أن يهيئ المتصوف هذه الصلاة يهرع إلى القرآن فيقرأ فيه بعض  
 السور ويمد نفسه لصلاة المدة في جماعة . ويطر المتصوفون إلى هذه الصلاة  
 نظرة الاحلال ويرون أنها خير من قيام ليلة تكاملها . وعندما يقوم المتردد  
 بهذا الواجب يتحول إلى ناحية من الحياة اليومية ، فلما أن يجد ذا عسرة  
 فيحمد عن نفسه أو يرفع عنه عسرته ، أو حنازة فيسير فيها ، أو مريضاً فيعوده  
 أو يتجأ فيطعمه ويواسيه . وما أن يعود إلى الصلاة إذا لم يجد شيئاً من  
 ذلك ، يقرأ الكتاب ، يجاهد في سبيل التحرر من أسر الجسم ، يصكر في  
 حقارة اللسان وضعفه وعظمة الله وقوته وخطئه ، ويستوحى من كل ذلك  
 حطة يسير عليها في جهاده الروحي

وبنقل المتصوف من صلاة إلى ثانية حتى يقوم بجميعها وهي اثنتا عشرة  
 صلاة في النهار والليل .

ولم يقف به الأمر عند هذا ، لا كثار ، وإنما أحدث لكل يوم من أيام  
 الأسبوع صلاة خاصة ، فلاحد واحدة ، وللأثنين ثانية ، وللثلاثاء ثالثة  
 وهكذا دواليك . ولعيد الملاي صلاة خصوصية ولعيد الثاني صلاة  
 ودعوات معينة ، وللمسح تقاليد في الصلاة ، وللمرجوع تقاليد أخرى . ولابتداء  
 الطعام وانتهائه واليوم والاتباء ، ولكل فعل من الأفعال اليومية صلاة .  
 والمسير في الشوارع دعوات يرددونها ويضمضون بها وهم سائرون . فكاننا

بالصلاة قامت عند المتصوف مقام النفس عند الانسان العادي . لا يبدأ  
حاطرهم الا عندما يعمدون الى الرقاد ، وهذا لا يكون الا نادراً ، في  
مدة قليلة من الزمن .

وقد دفعهم تعدد الصلوات واقامتها في ازمة متعددة الى التعرف على  
الوقت . فكان لا بد لهم من دروس خصائص الظل وتقلصه وتقدمه واختلاف  
مقداره في الفصول الاربعة ، ومعرفة اوقات الشروق والزوال ، ولوقوف على  
احكام الليل ، وخصائص الصوم للتجهد . ولهم في ذلك طرق عربية ذكرها  
المسكي في فوث القلوب باسهاب واطباب في الجزء الاول من كتابه .

زاه هذه الصلوات والدعوات ناعية نازية من المناجاة الالهية ، وهي  
التي يعبر عنها المتصوفون « بالذكر » . فهم اما ان يتمرقوا امراداً واما ان  
يجلسوا جماعات ويصعدون الى ترديد بعض آيات قرآنية معببة يعتقدون ان  
لها فعلاً خاصاً في النفوس . وقد احتار معظمهم عبارة : « لا اله الا الله » .  
ويعتقد شهاب الدين السهروردي ان هذه الحكمة خاصة في تنوير الباطن  
وجمع الاعتماد اذا دوام عليها المتعدد . واقتصر نفر آخر على الحكمة الاخيرة :  
« الله » يرددونها الى ان تنصب الستهم تتعذر احوالهم ويحب ريقهم فيصعدون  
الى باطنهم يرددون فيه الحكمة الى ان يتوصلوا الى عانتهم . واكتفى  
بعض ثالث بالمقطع الاخير من الاسم بدخلون عليه الضمة والفتحة والكسرة  
وم يملون الى اليمين او الشمال او الامام : هـ هـ هـ . وقد يرافق ذكر  
هذه الحروف او بعضها تلاوة القرآن بكثرة حتى تجري اتلاوة على اللسان ،  
ويقوم الكلام مقام حديث النفس .

يعتقد المتصوفون ان في هذا المقطع قوى الهية كثيرة ، هو الذي يرفع  
الاسان ليضعه قرب باب ربه . وهو الذي يساعده على اسقاط الحجب

الاسانية ، فكأنه كلمة السر المقدسة ، وكأنه رمز الروحية الصوفية .  
 اذا بصمد هؤلاء استردون الى الوحدة ، وإلى الصلاة في الليل والنهار  
 وإلى الدعوات والأدكار ، وإلى ترديد المارة السحرية ليلعبوا المرتبة التي  
 يصون إليها . وطل أن هذه هي الطريق المحلية لا إلى التي اتبعها المتصوفون  
 المحافظون الذين ظنوا أنها أدنى لديهم التي . ولكن ذلك لم يقف بهم عند  
 هذا الحد ، بل رأينا أشياء غريبة عن الذين تطهر شيئاً شيئاً في تلك الحقائق  
 الدرية ثم تصحح حرماً منها . ولا شك في أن أول تحديد حدث في الاجتماعات  
 الصوفية هو « السماع » . فقد عمدت بعض الفرق إلى سماع تقرب  
 به الواحد ، حدث سبب البيئة المدنية ما يحدث عادة في مثل هذه المناسبات  
 فهناك من حال وهناك من حرم ، وهناك من لم يقطع في الأمر وإنما جرى  
 الطرفين . قسم رأى فيه كما قلنا داعماً إلى إقائه وشجعاً على مدومة لذكر  
 ويحتج هذا الفريق بأصحابة النبي . فقد روي عن عائشة أن أبا بكر  
 دخل عليها عندها حاربتان تسميان ونصران يديان ورسول الله مسجى  
 شوبه فانتهرهما أو يكره ، وكشف الرسول عن وجهه وقال : « دعها يا أبا بكر  
 فلها أيام عيد » . وعريق محافظ بأمره منب . ندد بأماثلين به من رجال  
 الشرع لاسلامهم . وليس عليك إلا أن تطالع ما جاء في أحياء علوم الدين  
 لتقف على نظرة هؤلاء الأئمة للسماع . فإن لأمام الشافعي قال في كتاب  
 آداب القضاء . « أن الماء هو مكروه يشبه الحائل ، ومن استكثر فهو  
 سعيه نرد شهادته » . وأما الإمام مالك فقد نهى أيضاً عن الماء وقال :  
 « اذا اشترى أحد الناس حارية ووجدتها ممية كان له ردها » . وأما أبو حنيفة  
 فإنه كان يكره ذلك ويجعل سماع الماء من التوب . وأما موقف الإمام  
 ابن حنبل فهو معروف مشهور . ولكن قرأ آخر منهم الغزالي لم يناهض



السباع بل ان ممشاد الديبوري قال : « رأيت النبي في النوم فقلت له يا رسول الله هل تكلم من هذا السباع شيئاً ؟ فقال : ما أذكر منه شيئاً ، ولكن قل لهم يفتتحون قلبه بالقرآن ويتمون بعده بالقرآن (١) . ولكن السهروردي ون حازي المرآة في تحليه فانه يجعل له شراً طاماً . بها ان لا يصير معلولاً او هدماً تركن اليه انعموس طاماً للشهوت . لذلك يحرّم السباع على المريد ويرى انه لا يصح الا للناسين . وقد قال الشيخ : « اذا رأيت المريد يطلب السباع فاعلم انه فيه بقية الطاعة » . كما ان كثيرين حرّموا السباع من المرد وصحاب الوحوش الصالح ، لكي لا يسترعي جمال المعنى انتباه المتصوف .

وقد نجتسم الصلوات الانثاشرة والادكار الصوفية والا اراد الالهية والاصوات السحرية ، وترطابها عاصمة رهيبة عميقة ، ولكن السكر الروحي يطل بعيداً عن النفس والصفات الحسابية تنق ميطرة على المريد والسالك . ثم الساعة والساعتان والساعات والليل والنهار والجماعة في سجود وقيام ، وصلاة وعمعة ، وسماع وصمت . الصيون شاحصة الى افق بعيد ، والارواح مستعدة لاقتبال الشعاع المقدس ، ولكن الحق بعيد والتأثر كثيفة ، والاقدام اهبة ، واتقوى حائرة . لذلك يرى ان الجماعات لم تكتف بما حال لها الكتاب من طرق المجاهدة ، بل عمدت الى جسيم الوسائل التي عرفتها الجماعات السكية الصوفية عند جميع الاثم في جميع العصور . فانما يصوم رمضان يمتد الى ان يصبح صوم عام او صوم عمر تكمله . واذا بنا ربي كثيرين من المتصوفين يقصون حياتهم وهم لا يتقوتون الا بالنذر القليل من

الطعام كأنهم لا يريدون الا حفظ الرق في احاسهم . وقد كانوا يتسعون في ذلك طريقتين ، فاما ان ينقصوا الاوقات في كل مرة ، واما ان يمدوا بين الدور والدور الى ان يصح بامكان الواحد منهم ان لا يأكل الا مرة واحدة كل ثلاثة او خمسة او ثمانية ايام . منهم من كان يقص في كل اكلة ربع صاع الرعيف ، فيكون نركا لرعيف في شهر برياضة ونهمل فلا يؤثر النقصان فيه شيئا حتى تقب النفس على لا اكل في ثلث بطها ، وهو ثلث اكله المعتاد . منهم من كان يعمل في زيادة الاوقات فيؤخر اكله وقتا بعد وقت حتى تنهي الى درجة يحس فيها على العقل والحس (١) . يحكى عن سهل بن عبد الله التستري انه كان يأكل في كل خمسة عشر يوما مرة . فاذا دخل رمضان لم يأكل الا اكلة واحدة ، وكان يطر على الماء القراح وحده كل ليلة . ويحكى عن ابي عبد البصري انه كان اذا دخل رمضان دخل البيت وسد عليه الباب ، ويقول لامرأته : طرحي كل ليلة رغيفا من كوة في البيت ولا يخرج منه حتى يخرج رمضان فتدخل امرأته البيت فاذا اثنتون رعبا موضع في ناحية البيت . (٢)

وكان للصوم والجوع اثر فعال في احداث الوحد . لان الجوع يذهب الحس ويحل النفس في شبه عيوبة ، يحدد الخيال ، ويرفع العاطفة ، فيحدث السكر الروحاني . فان كثيرين من المتصوفين توصلوا الى اعلى درجات الوجد بعد ان امضوا زمنا طويلا دون طعام .

قد تنجح هذه الوسائل ويسم الله الصلوات والدعوات ويشفق على

(١) راجع قوت القلوب ج ٤ ص ٤٢

(٢) الطوسي . الفع ص ٢٢

الصائم السامر الغالي في وحده ، تتناقل الاستار واحداً بعد واحد ويشع نور عرب يغمره ويجعله في غيوبة تامة . فإذا بالتصوف يقف على سر الاسرار ويدرك حقائق الامور ويتعرف الي منع الاسرار ، الى السبب الاول فيجري لسانه بكلمات عربية ، وتعابير غير مألفة . وبذهب به شططه مذاهب طرفة لان من يجبط به من الناس لا يدرك السر في ذلك . وقد كان الشطح مدناً للمتك بكثيرين من المتصوفين الذين اسرفوا في الاحاديث اللدنية واطهار المقدره على الاتصال بالله ونقل كلامه او التكله بلسانه .

ان ابلغ الصمعات التي كنت في وصف اشطح هو ما كتبه ابن سينا وابن العربي في رسالة الطير حيث يمرضان لاسطورة النفس التي تنوح بعد المجاهدة الى المثل بين يدي الخالق . ولكن روع ما كتب سيك هذه الناحية ، في التحثيل ، انثنيه ، هو الوصف الدقيق الذي جاء به ابن طميل في رسالة يحيى بن يقطان ، عندما تنحل حقيقة لمي ويدرك ان الله هو ككل العالم . صار الزمان ، واندرثت احيال من متصوفين ، وجاءت احيال جديدة امسكت هذه الناحية الراحية من الحياة واطرافها ، فقصت عليها بما ادخلته في طرقها من الشهودات الهندية كالرقص وتمريق الثياب والسبر على النيران والتعذيب واستعمال العقاقير لاحداث حالة السكر . . . خمد اصوت الصوفي الحقيقي وردد الناس :

اهل التصوف قد مضوا صار التصوف محرقه

## طريق الحق

ان الفسافة التي يسمي اليها الصوفي هي التقرب من الله والتأمل بجماله وقد يكتفي بعضهم بالمشاهدة فيتعجّل المليل كما يحفظون ، وقد يمالئ المعض الآخر فلا يرضى الا بالانحداد بالذات العلية . ولكن كيم يبلغ الانسان الوأاب من الروح والجسم تلك الدرجة العلية ؟ وما هي الوسائل التي يعتمد اليها ليتوصل بواسطتها الى التأمل بجمال الله والانحداد به ؟

كاد الفلاسفة الاشراقيون والصوفيون يشتركون في الغاية القصوى من الحياة . فانهوا على ان لكل الاعلى الذي يسعون اليه هو السعادة . ولكن ما هو تحديد السعادة التي يحسن اليها كل من امرئيين ؟

يرى اصوليون انها بالقرب من الحق الاكبر . يرى المتفلسفون كالعارفي واحوان الصفاء : ان سببا لها في طلب العلم لكي تصبح النفس ملكا بالعلم بعد ان كانت ملكا بالقوة ، فتقدر ان نجبا بدتها دون ان نحتاج في قوامها الى مادة . اتفق العريقان اذاً في امر واحد ، وهو شد اذر الروح شقي الوسائل ، لتقوى وتصحح اما قادرة على مشاهدة الله ، واما قادرة على الحياة بدون مادة . ولكنهما يتبعان في التوصل الى هذه الغاية طريقين مختلفين حد الاختلاف . يرى نصار الاشراق انه ليس من الضروري في شيء ان يعتمد الانسان الى ادلال جسمه واتصافه والابتعاد عن بعض لذات الحياة في سبيل الروح . بل يجب عليه ان يعنى بحجته كل العابة ، لكي تطول حياة الجسم

ولكي ينشئ للروح الوقت الكافي لتعلم ، تتشقق وتفقدو صلبة بما لم تكن  
تصلح ، وتتمدد الاستعداد اللازم لتصح في عدد الجواهر المفارقة للمادة والصورة  
أما المتصورون لهم على غير هذا لا يتقاد ، فيرون ان لروح هي قبس  
ضئيل من ذات الله . ومن ذلك انفس الالهية قبس ضمن جذور اربعة ،  
جذور العنصر من الواحد ، ان نصف من امر هذا السحن ، وتقتضي  
على رعايته ، ونقل من صمد رياته ، لا ساكنا ضمنا ، قوي فيها المصير الروحي .  
وقد ساعدتهم ، لا فلاحه فيه الحديثة في طريقتهم هذه عندما رأوا ان افلاطين  
يذهب الى ان ملاسان روعيين . فوتين محتلتين .

ان النبي لم يذكر شيئا عن الروح . ولم يحال ان يأتي بفكرة خاصة  
لذلك عندما قال له اليهود : « حبر ما الروح ؟ وكيف تمزج الروح التي  
في الجسد ؟ » . لم يجهم ، وما تنظر الوحي ، فاذا محرم بل يرول عليه لاية :

« يا أولئك عن الروح ، قل الروح من امر ربي ، وما اوتيت من

العلم الا قليلا » فوجد الملازمة الاثر قيون صعوبة في طرق هذا الموضوع ،  
لان النبي نفسه لم يقرر ماهية امرس وتوحيها وقواها وعذاتها . وكيف  
يجرأون على طرق هذه النقطة العويصة ؟

ان اول من حاول ذلك علماء اليهود ، ولكن ذلك لم يحل من نظم  
الستين وعصم . فقال الحبيد : « لروح شيء ، انشأ الله سلمه ، ولا تحوز  
الصارة عنه باكثر من موجود . » وزاد عداقه الساجي فقال : « الروح  
جسم ياطف عن الجسم ، ويكبر عن الجسم . ولا يعبر عنه باكثر من  
موجود . »

ولكن جاء دور المتطرفين الذين تأثروا بالمذهب الاسكندري . وأرادوا

ان في الانسان روحاً ونفساً : الروح علوية سماوية جاءت من الله وبأمره .  
والنفس حيوانية جسمانية تصدر منها الحركة والحس وتتمش من القلب : تنشر  
سيرة تجاريف العروق ويشترك فيها الانسان والحيوان . ولكن الانسان يمتاز  
عن سواه بان هاتين القوتين وجدنا فيه مشعدين محتممين : وجدنا لتبعداً  
وتقوماً بوظائف الانسان كلها من حيوانية وعقلية . وهما متآلفتان - كما  
يقول المتصوفون - كآدم وحواء . سكنت الواحدة منهما الى الثانية  
فالاولى هي مصدر الاوصاف المحودة والاعمال الصالحة ، والثانية هي مصدر  
الشروع والآثام والافساد المذمومة .

عليها ان لا تنعجب من هذا التقسيم . فقد انتشر انتشاراً كبيراً عند  
فلاسفة الاشراف . وانتشر حب الكتب التي وضعها العربي قبل ان يهتدي  
الى التصوف . طمس في هدامي من العربية ، لان العرب لم يفهموا بذلك  
ان في الانسان روحين منفصلتين متقابلين . بل تمثلوا وجودهما كما تمثل  
فنن في الوقت الحاضر القوى العاطفية والمافقة والارادية في علم النفس الحديث  
فاذا ما انصرف المتصوف الى اضعاف جسمه ، القضاء على نزعاته ، فهو يحمّد  
النفس ، ويضعف امرها ويساعد في ذلك على تقوية الروح التي تحاول ان  
ترتفع الى حلقها ، الرجوع الى مكانها الاول .

ولكن ما هي الوسيلة التي يلتجئ اليها الصوفي ليلعب هذه لعبة ؟ هل  
يجاري المتطرف في طلب العلم ؟ ام يذهب غير مذهبه ؟ هل يعترق الرحلان  
في عهد الفيلسوف الاشرافي الى درس ما اثر عن لاقدمين من علوم وفنون  
استعداداً لاستقبال العقل الفعال ، بينما يعمد المتصوف في حياة الزهد  
والنقش في التعبد في الزوايا يجتاز المقامات والاحوال ليتوصل الى حالته .  
وقد اشار الغزالي الى هذا الاختلاف في كتاب « ميزان العمل » . فهو

لا يميز الطريقة الصوفية التي لا تعتمد على شيء من المبادئ العلمية . فبيري  
 ابن من واجب الانسان ان يطلب العلوم المنتشرة ثم ينتظر العلم الخارجي . لان  
 ذلك الاستعداد الاول يمسد له السبيل ، ويمد له لثمة اشياء كثيرة قد لا  
 يفهمها اذا ظهرت له في مقاماته واحواله . فيقف في وسط الطريق دون  
 ان يطلع عابته . اما اذا استعد الاستعداد السكافي فقد يطلع عابته بوقت  
 قريب وبجاهدة قليلة . ويريوي الغزالي مثلا طريقا على ذلك : فقد حكى  
 ان اهل الصين الروم تباها ، تحس ساعة النقش والتصوير بين يدي بعض  
 الملوك . فاستقر رأي الملك على ان يسلم اليهم صفة بنقش منها اهل الصين  
 منها جابجا وُبرخي يسلم حجاب ، بحيث لا يتقدم كل فريق على صاحبه .  
 فاذا فرغوا رفع الحجاب ونظر الى الحاسين وعرف رحمان من رجع من  
 العربيقين . فعلم ذلك ، فجمع اهل الروم من الاصابع العربية ما لا يحصى  
 ودخل اهل الصين وراء الحجاب من غير صم وهم يحملون حابهم ويهقرونه  
 والناس يتعجبون من توانيهم في طلب الصم .  
 فلما فرغ اهل الروم ادعى اهل الصين انا ايضا قد فرغنا . فقبل لهم .  
 كيف فرغتم ولم يكن مصكم صم ولا اشتظتم بنقش . فقالوا ما عليكم ،  
 ارفعوا الحجاب ، وعلينا نصحيح دعونا . فرفعوا الحجاب واذا بحابهم قد  
 تلاها به جميع الاصابع الرومية ، الغربية لانه كان قد صار كالمرآة لكثرة  
 التصفية والحلا . فازداد حن حابهم تريد الصماء ، وظهر فيه ما سمي  
 في تحصيله غيرهم (١) .

(١) الغزالي ميزان العمل ص ٤٦

الاحياء ج ٣ ص ١٩

يرى المزاوي ان المتصوفين اذا علموا ما له الصابون او ما فعله الاشراقيون  
في صقل نفوسهم بالعلوم المعروفة فان هذه النفوس تكون مريضة القبول  
لما يعرض لها من نقش الله فيها .

ان ما تريد ان شته في هذه الحكمة هو ان المتصوفين لم يقرءوا بالعلم العقلي  
والاحتباري واحموا على ان الاسان يقدر ان يتوصل الى العلم اذا اتسم  
طريقتهم وسار على خطتهم ، قلدهم في حياتهم وسار في طريق المقامات  
والاحوال . وهذا هو الاختلاف الاساسي بين الطريقة الاشراقية والطريقة  
الصوفية







ثم لتمثل معنا انا احترق تلك الطريق مرة ثانية ، وصادفنا ذلك الرجل فوقنا نأمله وقد ثار الاشعاع في صدورنا ، قلنا : لا بد من ان ساعده وان قد له يد الممونة . فقدما الاعمى الى منزلنا وحطأ له مكابا امينا يجد فيه ما يحتاج اليه وانصرفنا الى العناية به وتسهيل الحياة له . فان العاطفة التي مرت سراعا في اول الامر استقرت واصبحت مقاماً بعد ان كانت حالاً .

ولناخذ مثلاً ثانية اكثر اطباء على الصوبية ، وتمثل رجلاً عاث في الارض فساداً وكثرت شروعه معك الدماء واشباح الاموال والنوموس . فان هذا الرجل اذا ما خلا الى نفسه في احد الايام قد يشمر في ضميره بهمس يدمعه للحرب من هذه الحياة والرجوع الى الصلاح والكفيرة عن الذنوب . ولكن هذا الصوت الخافت يتلاشي بعد لحظة ولا يبقى له اثر في نفس المحرم المخترف . ولكنه قد يعود الى الطهور ، ولا يمر مرأى مريناً بل يلع عليه ويبيسته ، ولا يعاديه الا وقد انتزع الرجل ستارك ما هو عليه من حياة الشقاوة . فبعد ان كانت داعية الصلاح حالاً تلمع كاسبرق الخاطف في خاطر الرجل اصحت مقاماً له ، تكيف شخصيته ، وتنظم اخلاقه وحياته ، ليقوم بجميع امورها .

لا شك في اننا ادر كنا من المؤمنين السابقين ان الحال لا يتعلق بالانسان بل هو وحى من الله ، وهمس به الصمير بهمه الله في من يشاء ، ويمه عن يشاء . وان المقام لا يتأني للسان الا بعد التعب والساء ، وان الرجل لا يتوصل الى احد المقامات الا بكده وعمله وثبات ارادته وصدق عزيمته . فستنتج من كل ذلك ان الاول موهبة والثاني اكتساب بالاعمال .

ولكن المتصوفين ذهبوا مذهباً قد يخالف الاسلام بعض المخالفة ، وهو زعمهم ان الله ينعم على المتزهدين فيهم اليه دون ان يجاهدوا ويتبعوا طريق

المقامات . فهم ينتقلون من حال الى حال الى ان يصلوا الى المرتبة الاخيرة ، الى رؤية الله والفناء فيه . فالتصوفين اذاً طريقان مختلفان بلوغ غايتهم حسب استعدادهم الذاتي واشفاق الله عليهم : طريق النقش ، وطريق الالهام .

### المقامات :

اختلف المؤلفون الصوفيون في عددها وتحديداتها وترتيبها وقيمتها ونسبتها . حتى كاد الباحث الحديث يضل بين انكارهم واثباتهم وانقصهم وزايدهم . فاداً بعضهم بكاد يلعبها اخمين ، واداً بالبعض الآخر يقف عند حمة مقامات . اما نحن فاداً شارك الطوسي في رأيه لانه توسط بين لادلال والاكتثار فجعل المقامات ستة هي : التوبة والورع والزهد والمقر والصبر والتوكل . وارصاً . وسحاول شرح هذه المقامات معتمدين في ذلك على على اشهر الكتب الصوفية (١) :

### (١) منها :

Louis Massignon Al Hallaj , Martyr Mystique de l'Islam 2 vol .

R . A . Nicholson the kitab Al - Luma fil Tasawwuf Lyden 1914 مطبوعة نينكولسن

L. Massignon Essai sur les origines du Lexique technique de la mystique musulmane Paris 1922

Miguel Asín Palacios : La Mystique d'Al Gazali 1914

الاحياء لاسزالي

قوت القلوب لاسكي

الرسالة القشيرية

## ١ التوبة :

ان للتوبة اسبابا وترتبا واناسا . فاول ذلك ان ياتى اقلب من رقة  
 الفعلة ورؤية الانسان ما هو عليه من سوء الحالة . لا يتوصل اليها الا بالاصفاء الى  
 ما يحظر به من ربه احر الحق . فيستعد لاسباب التوبة ويهجر الخواف  
 الدوه لانهم يحملونه على التراجع عن عايته . اما اذا عزم الانسان على التوبة  
 ولم يتم له ذلك من لواحيه ان لا يقسط من رحمة ربه وان بعيد الكرة .  
 قبل ان ياتى عمرو بن محمد اختاف في ابتداء امره الى مجلس ابي عثمان فثار  
 كلامه في قلبه فثار . ثم انه وقعت له فترة فكان يهرب من ابي عثمان اذا  
 رآه . يثأر من مجلسه . فاستقبله ابو عثمان يوما فعاد ابو عمرو عن طريقه  
 وسلك طريقا اخرى فقدمه الشيخ فزال بقعر اثره حتى لحقه . فقال له :  
 يا بني لا تصعب من لا يحبك الا مصوما . اما بسمك ابو عثمان في مثل هذه  
 الحالة . قيل فتاب ابو عمرو بن محمد وعاد الى لارادة وبعد بها (١)  
 والتوبة هي اصل كل مقام . وهي عناية الارض للبناء . فمن لا ارض له  
 لا بناء له . ومن لا توبة له لا مقام له . يتقدمها في نفس المؤمن امران  
 يحملانها تستقر لتصبح مقاما ثابتا : اولهما معرفة الذنوب وما تمليه بالنفس  
 وكيف تعصل بين الانسان وبين (محبته) . فاما عرف ذلك تألم وندم على  
 ما فات . وثانيهما ما يستتبع ذلك الندم من عزم صادق على ملازمة الخطا  
 الذي وقع منه وعمل صالح في الحاضر والمستقبل .  
 ولا تقف التوبة عند هذا بل تستتبع اسواقا ثانوية لا تثبت بدونها

اولها الخاسية ، فقد قال الامام علي : « حاسوا انفسكم قبل ان تحاسوا »  
وزوها قبل ان توزوها ، فالحاسية هي في ضبط الحواس ، رعاية الاوقات وعد  
الدور والاستعداد عنها . فقد كان بعض الخاسيين يكتب الصلوات الخمس  
في قرطاس ، يدع بين كل صلاتين مرعاً . وكلما ارتكب خطيئة وضع  
خطاً . وكلما تكلم او تحرك فيها لا يميته نقط نقطة ، ليعتبر ذنبه وحر كانه  
وتصيق الخاسية بحال الشيطان . فاداناب المرء ثوبة صادقة واتبعها بالخاسية  
والمرامة عصم عن مخالفة اوامره . وقد قيل لا يكون المرید مريداً حتى  
لا يكتب عليه صاحب النال ( ائدت الخاسية ) شيئاً عشرين سنة . ولا  
يلزم من ذلك حدود العصية ، لكن الصادق الثاني اذا بتلي يذهب بشمعي  
اثر الدم من باطنه لوجود الدم في نفسه .

## ٢ - الورع :

قال النبي : « الورع هو ان تتورع » ان لا ينشفت قلبك عن الله طرفة  
عين . وقال : « الورع يتورع عن كل شيء سوى الله » . وقال آخر :  
« الورع على وجهين : ورع في الظاهر وهو ان لا تتحرك الا لله تعالى ،  
وورع في الباطن وهو ان لا يدخل نفسك سواء تعالى » . قال كهيمس :  
« ادست دجاً ابي عليه مدار دين سنة . ودك انه زارني اح لي فاشترت  
بدانق صمكة مشوية » فلما فرغ اخذت قطعة طين من جدار حار لي حتى غسل  
يده . « واستأجر النحوي دابة فسقط مبعثه من يده » فعمل ورط الدابة  
ورجع فاحد السوط . فقيل له : لو حولت الدابة الى الموضع الذي سقط فيه  
فاخذته . فقال استأجرتها لامضي هكذا لا هكذا . ورؤي سفيان الثوري

في المنام وله حناجر يطير بهما في الجنة من شجرة الى شجرة . فقيل له : ثم غلب هذا ؟ فقال : بالورع . وتحكم ابو سعيد الخراساني الورع ، فربده عباس ابن المهدي . فقال له : يا ابا سعيد اما تستحي ، ان تجلس تحت سقف ابني الدوايق وتشرّب من بركة زبيدة وتعامل بالدراهم المريفة وتحكم بالورع .

ولا نل عن حوادث المتصوفين في هذا المقام . فقد كانوا يتأرون في المععب الغريب . وبينهم الصادق الذي يتعدد وجهه من الكساء على دب قافله اقترهه . وسهم من لا يحصى اقتراب الخواص في الخفاء ، والظهور امام الناس وهو يصمّم بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية والروايات الدينية .

### ٣ - الزهد

ان الزاهد هو كل من باع الدنيا بالآخرة . لان امراض الدنيا زائلة وامور الآخرة باقية خالدة . فالدنيا تلج موضوع في الشمس لا يزال في الدويان الى الثلاثي ، والآخرة حوهر لا تناء له . فليس من الزهد ترك المال وبذله على سبيل السعاء واستئالة القلوب ، فهذا من العادات الخسنة ، ولكنه لا يدخل في العبادات . واما زهد ان تترك الدنيا وانت تعلم حقارتها اذا اضعتها الى نقاسة الآخرة : والزاهد هو من انتد الدنيا وهو قادر على التمتع بها فتركها خوفا من ان يأس بها ، فيكون آمسا بغير الله ومحبا لغيره فقد قال النبي (ص) : من اصبح وهمه الدنيا شئت الله عليه امره ، وورق عليه ضيعته وجعل فقره دين عليه ، ولم يأت من الدنيا الا ما كتب له . ومن اصبح وهمه الآخرة جهم الله له ، ومهد وحفظ عيه ضيعته ، وجعل غناه في قلبه

وانته الدنيا وهي راضية . »

تختلف درجة الزهد وقيمته باختلاف الاستعداد النفسي . فالدرجة الاولى تنوء في اسمع التي تزهد في الدنيا . هي تنزق اليها وتقبل الى لذتها . واكتنفاً فيجاهد ضد الميل . وهذا هو زهد من يعمل ويتهد للتوصل الى هدفه . والدرجة الثانية تتحقق عند من ترك الدنيا طوعاً ، لا -بتقاربه اباعاً امام ما طمع فيه . كذلك يترك درهماً لاجل درهمين . فانه لا يثق عليه ذلك وان احتاج الى لا شطار . والدرجة الثالثة وهي اصلها واستقامتها في العبد الذي يزهو طوعاً ، ويزهو في زهده اد به لا يرى انه ترك شيئاً بعد ان ادرك سقارة الدنيا . كان ترك خرفة واحذ جوهرة .

يرى مؤرخو التصوف على ان لمرة ان يحكم اساسه في الزهد ، لان حب الدنيا رأس كل حطئة . ولان الزهد هو رس كل خير . فقال يحيى ابن معاذ : « الدنيا كالعرس . ومن بطليها ماشطتها . وزهد فيها يسحم وحسبها . ويتبع شعرها ، يجرق ثوبها . والعارف مشغل بقله لا يلتفت اليها ، ( ١ ) وكان الصوفيون يقولون : « الدنيا بقول : اذا زهد العبد في الدنيا وكل الله تعالى به ملكاً يغرس اخكه في قلبه . ولا يقصد من زهد حسب اعتقادهم سوى كمال امراع امتعان به على دوام العمل فيه . لان التعلق بالمادة مما يقضي الانسان عن خالقه . »

## ٤ - الفقر

قال إبراهيم بن محمد الخوصي : « الفقر رد • الشرف • ولباس المسلمين •  
 وجلاب الصالحين • ونج لثقلين • ودين المؤمنين • وعيبة العارفين • ومنية  
 المرئيين • وحصر المطيعين • وسجن المذنبين • ومكفر للسينات • ومعظم  
 للحسبات • ودفع للدرجات • ومدم في العابات • ورضا لخيار • وكرامة  
 لاهل ولايته . ( برار ) • » ولكن الفقر ليس واحداً عند جميع المتصوفين  
 فهو يختلف في كل فرد منهم • فان من الفقراء من لا يملك شيئاً ولا يطلب  
 بظاهره ولا باطنه من احد شيئاً ولا ينتظر من احد مساعدة • وان أعطى لم  
 يأخذ • فقد مقامه مقام للمؤمنين • سأل ابو بكر الزقاق ابا علي الرضا داري :  
 « لم ترك الفقراء • حد الله في وقت الحاجة ؟ » قال : « لانهم مستغنون بالمعطي  
 من العطاء • » • منهم من لا يملك شيئاً ولا يسأل احداً • ولا يطلب ولا  
 يعرض • وان أعطى شيئاً من غير مسئلة احد • فقد قال الخوصي • علامة  
 الفقير الصادق ترك الشكوى واخفاء اثر البؤى • ومنهم من لا يملك  
 شيئاً • ودا احتاج • ناسط الى بعض احواله بمن يعلم انه يعرج ببساطه اليه •  
 وقد طلب المتصوفون الفقر لانهم كانوا على ايمان ثابت بان النبي فصل  
 لعقر على النبي • قال لئال : « اتق الله فقيراً • لا تلقه غنياً » • وقال في  
 معرض حديث له : « يدخل فقراء امي الجنة قبل اغنيائها بمسائة عام »  
 وقد روي عنه انه شرف في حد الايام على لجنة مرأى اكثر اهلها لفقراء •  
 واشرف على النار مرأى اكثر اهلها لاعبياء • وروي عن عائشة انه اتاها



الف درهم من العطاء ، فاحذثها وافرقتها من يومها . فقالت خادمتها ما استطعت  
فيما فرقت اليوم ان تشتري لنا بدرهم لحماً مطبوخاً عليه ؟ فقلت : لو ذكرتني  
لفعلت .

فقد حاول المتصوفون كما رأينا في فصل سابق - الاقتداء بالنبي  
والمقربين اليه . لذلك يرى ان تاريخهم مملوء بالكثرة للبال والعي . وان  
كثيرين منهم لو ارادوا جمع الاموال لكان لهم ما يشاؤون . ولكنهم  
آثروا الفقر لانهم رأوا ان العي الحقيقي ليس في جمع المال بل في القرب من  
الله . ولا مجال للذكر احاد المتصوفين الذين اسبقوا ما يملكونه على الناس  
ليصرفوا الى التمسك ، وانما مكنتني بذكر اسم ابراهيم بن . دم ، ولامام الي  
حامد الغزالي .

## ٥ - الصبر :

واسكن التوبة والورع والزهد والفقر لا تتم للمتصوف الا اذا عرف  
كيف يصبر على مصائبه ، وكيف يحتمل المور والنكبات . فهو يصبر عن  
التعم بالحياة والدائنها . ويصبر على بؤسه ، فلا يظهر تدمراً ولا تأهد . وانما  
يعنى في بلواه ويستقبلها شعر باسم وصدر رجب . فان احاد المتصوفين انفق  
القسم الكبير من عمره وهو حاس الوحه ، ولم يره احد ميتاً لا عند وفاة  
احد اولاده . وان دا النور المصري كان يرى ن الصبر الحقيقي هو في  
تجريح عصب البلية واضهار النفي مع حلول انقراض . لانه يدرك ان ما يبرل على  
الناس من المصائب ليس الا بارادة الله الذي يحاول ان يتحنن انماهم ويدرك  
صدق محبتهم له . مما يروى ان الشبي الصوفي المشهور حبس وقتاً في

المارستان • قدخل عليه جماعة من اصحابه • فقال : «مرانتم ؟ قالوا :  
 -ساؤك • عاؤوك رائرين • فاحد يرميهم بالحجارة • وخذوا يهربون •  
 فقال : يا كذبون • لو كنتم احائي لصبرتم على الانبي (١) »  
 اراد هذا الصبر الذي يتناز به المتصوفون • وهذه البسمة الرضية التي  
 يقامون بها ما يلاقهم في حياتهم من الصعوبات حين وشرق الى كائن لا  
 صبر لهم عنه • هو الله • فهم يقولون في ذلك :

• والصبر عنك شدة وم عواقبه واصبر في سائر الاشياء محمود  
 وقال آخر :

الصبر يحمل في اموال كلها الا عليك فانه لا يحمل  
 واد بالفس الخاترة بين الحب والشوق والصبر تردد :

صبرت ولم اطلع هواك على صبري  
 وأخفت ما بي منك عن موضع الصبر  
 بحافة ان يشكو ضميري صبايتي  
 الى دمتي مرأ تتحري على حدي

## ٦ - التوكل :

فالمتصوف إذا يصر على بلواه لأن الله هو سبب كل ما يحدث في هذا العالم ، فيلقي بامرء على رءه ، يتصرف به كما يشاء ، والله هو الذي يوجي إليه بالخصار الحميدة التي يتوصل إليها بالعمل والاجتهاد . والله هو الذي يهذب نفسه ويعيدها للمثول بين يديه طاهره قية . وهو الذي يرزق الحيوان والانس . ولا يذكر بامرء ماشه ولا سمه . فقد خرج احدهم الى بعض الصحاري فرأى قرة عبياء عرجاء ضعيفة . فوقف متحسماً معها متفكراً فيما تأكل لعمرها عن الطير ان الشئ في رؤيته . وبينما هو في تأملاته المبهقة اذ اشتقت الارض وحرحت سكر حنار في احدهما سمسم نقي . في الاخرى ماء صاف . فأكلت من السمسم وشربت من الماء ، ثم اشتقت الارض وعانت لسكر حنار .

فهم إذا في حياتهم توكلون على الله ، يحققون في انفسهم قول النبي : « لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، غافوا فاعدوا حاصاً وتروح بطاناً » . ولا شك في ان مقام التوكل هو من اشد المقامات الثراء في النفس ، لأن المتصوف يتنامى فيه حالاته ، ويهيئ ذاته ، وادارته ويصح بين يدي حالته مثل المائت بين يدي عائله . فان كثيرين من المتصوفين كانوا يتيهون في الوادي بعير زاد ثقة بمصل فله عليه في تقويتهم على الصبر اسوعاً واكثر ، ويسير حشش لهم او قوت ، او تثبيتهم على الرضا بدوت ان لم يتيسر شي من ذلك . قال ابراهيم بن ادم : سألت بعض الزهاد ، من اين

تأكل فقال لي : ليس هذا العلم عندي ، ولكن سأل ربي من أين يطعمني (١)

## ٧ - الرضا

اختلف المراقبون والخراسانيون في الرضا . هل هو من الاحوال ام من المقامات ؟ فاهل حراسان قالوا الرضا من حمزه المقامات . وهو نهاية التوكل . يتوصل اليه المتصوف باكتسابه وعمه . وقد حارهم الطوسي في هذا المذهب . واما المراقبون فذهبوا الى ان الرضا من حمزه الاحوال . ويرى القشيري انه من الممكن الجمع بين الرأيين . لان بداية الرضا مكتسبة للعد وهي من المقامات . وهابشه من الاحوال . واختلف المتصوفون ايضا في تحديده . فهم من رأى فيه رضا لله على عبده ، ومنهم من رأى فيه رضا العبد على خالقه . والكل لا يدرك من ذلك ان القسم الاول ليس من المقامات ، بل يبقى امامنا سوى الرأي الثاني . ولا يتوصل المتصوف الى هذا المقام الا بقبول تقدير الله دور اعتراض على اوامره وقضائه .

واكن جميع الذين كتبوا في التصوف من القدماء يكادون يجمعون على ان هذا المقام هو آخر المقامات التي يتدرج اليها العبد باعماله . فهو كالاب للعبة . فلا يكاد العبد يرضى على خالقه حتى يرضى خالقه عليه . قال تلميذ متصوف لامتداده : هل يعرف الانسان ان الله راض عنه ؟ فقال : لا . كيف يعلم ذلك ورضاء عيب . فقال التلميذ : الولي يعلم ذلك . فقال : كيف ؟ احب : اذا وجدت قلبي راضيا عن الله علمت انه راض عني . فقال الاستاذ : احسنت يا علام .

## الاحوال :

ان الاحوال التي تحمل قلب الصوفي كثيرة . تختلف قوة وضعها باختلاف  
الافراد واستعداد النفس . واهمها المراقبة والقرب والمحبة والخوف والرجاء  
والشوق والانس والطمأنينة والمجاهدة واليقين . فان الصوفيين الذين يقدرون  
لهم ان يتعمقوا الاحوال في طريقهم الى الحق هم دون شك من الموهوبين الذين  
لا يعانون الاحوال في حياتهم الزهدية .

### ١ - المراقبة والقرب :

تقسم المراقبة الى قسمين مختلفين : الاول يتعلق بمراقبة الاعمال التي  
يقوم بها الانسان لان الله حاصر في كل مكان ، واقف على كل ما يجري في  
العالم . فقد حكى الله كان لبعض مشايخ من المتصوفين تلميذ شاب يكرمه  
ويقدمه . فقال له بعض اصحابه : كيف تكرم هذا وهو شاب ومجنون  
شيوخ . فذهبوا بعدة طيور وعطى كل واحد منهم طائراً وسكبوا وقال :  
ليذبح كل واحد منكم طائره في موضع لا يراه فيه احد . ودفع الى الشاب  
مثل ذلك وقال له ما قال لهم . فرجع كل واحد بطائره مذبحاً ، ورجع  
الشاب والطائر حي في يده . فقال الشيخ : ما لك لم تذبح كما دبح اصحابك ؟  
فقال : لم احد موصفاً لا يراي فيه احد اذ الله مطلع علي في كل مكان .  
فاستحسنوا منه هذه المراقبة وعابوا : حق لك ان تكرم .

واما الثاني وهو الالم ، فهو مراقبة الله ، فيحبها الصوفي في شبه غيوبة  
عن العالم ، مرقاً جمال الله فلا تنفي في قلبه مجال للالتفات الى الدنيا . فقد

يعمل من الخلق حتى لا يصغر من يحضر عنده وهو فاتح عبيده ، ولا يسمع ما يقال له مع انه لا صممه . وقد يمر على اصداقائه فلا يجاوبهم حتى كان احدهم يقول لمن يمانه في هذا الامر : اذا مررت بي فحمر كفي . روى بعض الصوفيين قال : مررت ببغاة يترامون وواحد حالى بميدا عنهم . فتقدمت اليه فاردت ان اكلمه . فقال : ذكر الله شهر . فقلت : انت وحدك ؟ فقال : معي ربي وملكاى . فقلت : من سبق من هؤلاء ؟ فقال : من غفر الله له . فقلت : اين الطريق ؟ فاشار نحو السماء وقام ومشى وقال : اكثر خلقت شاعلا عنك (١) .

فان الصوفي اذا توصل الى هذه الدرجة من البرائة فلا شك في انه يشعر بقرب الله منه وقرب نفسه من الله . وتكاد تفور هذه الحال الى نوع من الخلوية العسية ، لان الذرة المايها منها هي ما يقوله ابو يعقوب السوسي : « ما دام الصمد بالقرب لم يكن قرب . حتى يغيب عن القرب بالقرب » . وما يقوله عاصم بن عبد القيس : « ما بطرت انى شيء الا رايت الله اقرب اليه مني » .

## ٢ - المحبة والخوف :

اما الحب فهو اشهر الاحوال التي تمر في قلب المتصوف ، والتي تغنى بها الشعراء والشواعر من رامة الى الخلاج الى ابن العارض . والمحبة والخوف حالان متقابلتان ، لان القرب يقتضي حالين : فمن الصوفيين من يطلب عليه

الغوف عند نظره الى قرب الله منه . ومنهم من يبت عليه الحب . والحب في الاحوال كالتوبة في انقضاءات . فلا يبقى للحب من غاية سوى التوصل الى حبيبه ، فيصوب عن امور الدنيا ويخضعها ، فيصرف الى الاعمال الخيرية التي تلهه عاينه . فقد كانت راحة العديبة تمشد .

نعصى الاله وانت تظهر حبه      هذا العمري في افعال بديع  
لو كان حبك صدقاً لاطمئنته      ان الحب لمن يحب مطامع . .

ويحاول المتصوف ان يستقل من حب الطري الى الوصول الى الله ليحقق قوله : « اذا احببته كثرت له ممتعاً ونصراً » . وفي هذه الحال يقال : الله يعوض محبيه بالنفارة ويخلص عليهم الصفات السامية ولا يلاق الشرمة . فالحنه دأ هي اساس الاحوال ولا تنجز الا الله وحده . « وار من حب غير الله لا من حيث رسته الى الله فذلك لحنه ، قصوره في معرفة الله تعالى . وحب الرسول محمود لانه عين حب الله تعالى ، وكذلك حب العلماء والافياء لان محبة المحبوب محبوبة ، ورسول المحبوب محبوب . . وكل ذلك يرجع الى الاصل . فلا محبوبة في الحقيقة عند ذوي البصائر الا الله (١) »

واما غلوف فانه يجتهد دائماً شاعداً السد من ربه عطشة وهيبة وقدرة ، ولم يعط الى العطف واللطف والاحسان والحنه للعناد . فتضطرب اعصابه وتثور نفسه ، ويترده بالحياة . ويخشى على نفسه ان لا تبلغ اكمال ولا تنال المرتبة السامية . وان يبالها المقاب عوضاً عن الثواب ، والنعمة . كانت النعمة . فلا همتاً له عيش ولا نقر له قرير . فقد دفع الغلوف كثيرين من

المتصوفين الى ان يهجروا الناس ويمشوا في البراري والقفار ، والى الدهول  
والبحول حتى كانوا يتمثلون بقول الشاعر :

لو ان ما بي على صحر لانحله فكيف يحمله خلق من الطين ؟  
٣ الرجاء والشوق :

ان الخوف من عقاب الله يدفع المتصوف ما الى الدهول والرهة ، واما  
الى القسوط والامتناع عن العمل ، واما الرجاء فهو على خلافه ، لانه يحمل  
للجهد رعة في الاحسان لتحقيق نيته ، كما انه يدفعه في كثير من الاحيان  
الى شيء من التهاون في واجباته لانه يدرك ان الله غفور رحيم فيرحو غفوه  
وشفته . وقد صدق ابو علي ابره دباري عندما قال : « الخوف والرجاء هما  
كحساي الطائر اذا استويا استوى الطير وتم طيرانه وادا نقص احدهما  
وقع فيه النقص » ، دا دها صار الطائر في حد الموت (١) ، « رؤي بان  
ابن ابي عباس في اليوم ، وكان يكثُر ذكر ابواب لرجاء ، فقال : اوقفني  
الله تعالى بين يديه فقال : ما الذي حملك على ذلك ؟ فقلت : اردت ان  
احبك الى خلقك . فقال : قد عبرت لك .

واما الشوق ولا يتم الا للذين تشب الخلة في قلوبهم . فيشتاقون الى  
التعرف الى صفات الله ، امرار حمالة ، قوته . فقد قال احدهم : « الشوق  
ثمرة الخلة . فمن احب الله اشتاق الى لقائه . » فكان هذه الحال تار يشعلها



الله في قلوب اوليائه حتى يحرق سباعاً في قلوبهم من الخواطر والارادات  
والرغبات (١) .

#### ٤ - الانس والطمأنينة :

لا يتم الانس الا لله وهوب لقرب ، ويرفعه هذا الحال عن العالم الحسي  
الى العالم لمعالي . ويرفعه من الله ، وأخذ المتصوف بالتدبر عند يقظته  
ورجوعه الى العالم الارضي . ولا شك انه لم يلح هذه الرتبة سوى نفر ضئيل  
لانها تكاد تكون منهم انداد الله فيتحدثون اليه ، ويتحدث اليهم . لذلك قيل :

الانس بالله لا يحويه طلال      وليس يدركه بالحول بمثال  
والآتون رجال كلهم محب      وكلهم صفوة الله عمال

فإذا دام هذا الحال بصح مقاماً ، يعقبه ببساطة الحديث والاقوال  
والاعمال . وقد تكون هذه الاقوال بما لا يحتمله الناس ولا يطبقون سمعه  
لما فيه من الجرافة . ولكن المرابي يرى ان ذلك محتمل من ثقت في الانس .  
واما من لم يقم فيه وحازل التشبه بالصوتيين الحقيقيين في القول والعمل  
فانه يهلك ، يشرف على الكفر . وهذا ما حدث لكثيرين من المتطرفين  
الذين هلكوا عند ما جعلوا انفسهم في مصاف الله ووفق الانبياء .

اما الطمأنينة فهي اقل تعرفاً من الانس . فيطمئن العبد الى ربه في  
دعة وسلام . ويسلم له لقياد ، ولكنه يظل بعيداً عن بعض العبد متأملاً

بجهالة اللامتناهي وهيبته السامية - وكأنما بهذه - ا-ال- وقف على الحائطين  
الذين لا يرأون يؤمنون بن الانمال - لله ماثرة في العالم الارضي بيس من  
الاور اليسيرة على البشر - وان كانوا في الدرجة العليا من اكمال الصافي  
والاستعداد الذاتي .

## ٥ - المشاهدة واليقين :

ان الذين يصلون الى حال المشاهدة نادرون ، عليهم ان يروا - واحد -  
الفرجات السابقة ، وان يجد الله في قلوبهم شعله المعروفة - يشاهدون الله في  
قلوبهم ، يشاهدونه في حلقاته ومصوغاته - « فالحق في قصة الحق ، في  
ملكه ، فادا وقعت المشاهدة بما بين الله وبين العبد لا يبقى في سره - ولا في  
همه غير الله تعالى (١) »

اما اليقين فهو راسي من المشاهدة - يقوى الايمان في نفس الصوفي  
ويستولي على جميع حواسه وحواطره حتى يرى الحق بقوة ايمانه رؤية العيان .  
فيلعب عندئذ الدرجة القصوى من كمال العلم ، معهم قلبه سرورا وشوقا الى  
دوام الرؤية ، فيصير اللقاء عنده بعمسة والرحاء - صبة - ويقف على جميع  
صفات الله واسمائه الحسنى التي تفتح الملق من اسرار الكون .

.....

هذه هي المقامات والاحوال الاساسية التي يمر بها المتصوفون . وكل  
واحد منها يتشعب الى فروع عديدة يطول البحث فيها وفي التعمق بينها .

وأكد قد تبين لنا من هذا التحديد الذي عمدنا إليه ان الوصول الى الحق  
 طريقتين مختلفتين عند الصوفيين انفسهم \* الاولى لا يجوزها الاكل من ابقى  
 عمره في دور ، دين وضعف جسمه باوثة والزهد والصبر والثوكل ليتوصل  
 الى ابرحله النهائية \* واكسها لا تحول العمد رؤية حاققه في العالم الارضي \*  
 وانما تعدد للحوثول بين يديه في الآخرة \* وثانية يجوزها من اسم الله عليه  
 بالحس فقره اليه وسمر له عن وجهه \* لا لا الى هي طريقة التوبة \* والثانية  
 طريقة الالهام والاشهاد \*



## ابن عربي<sup>(١)</sup>

حياته :

ابن عربي من أكثر المتصوفين انتشاراً - يتفق الدارس في قراءته ثلاثة أشهر ويبف دون أن يأتي على مؤلفاته الكثيرة وكراساته الصغيرة ، حيث يعرض لأعوام النظريات الفلسفية ، وادق المذهب الصوفية ، ودون أن يطالع إعلاصات العديدة التي كتبت لمصنفاته - ولكن كل تلك المؤلفات لم تزد في إيضاح مذهبه بل زادت تعقيداً وحماطاً .

أراء هذا لاكتنار في المصنفات التي تشرح تعاليمه وتلخصها بتفسير مقصود أو غير مقصود في ترجمة حياته ، وذكر أشهر الحوادث التي أثرت في تكوين شخصيته ، وجعلت منه الصوفي الشهير الذي يعرفه الآن ، فتكاد تقر له سراً ضحاً دون أن نقف من شيء يتعلق بترجمته ، وبطالع مؤلفات الذين عوايه عناية خاصة دون أن نستفيد شيئاً حديداً غير الذي يعرفه كل الناس .

ولد له بكر محمد بن علي محيي الدين الحافقي الطائي لاندلسي المشهور بابن عربي ، باشيخ ، الأكبر في ١٦ من رمضان سنة ٥٦٠ هـ ( ٢٨ تموز ١١٦٥ م )

(١) ويعرف أيضاً بابن العربي

في مدينة مرسية « Marcie » فاصى فيها ثمانية اعوام حتى تعلم خلال ذلك شيئاً من القراءة والفوائد اللغوية . ثم انتقل سنة ٥٦٨ هـ ( ١١٢٢ م ) الى مدينة اشبيلية « Seville » حيث عكف على دراسة جميع العلوم المعروفة في عصره ، منتقلاً من تعلم القرآن والتفقه به الى علم الكلام ، الى المذاهب الفلسفية ، الى التصوف . وقد اقتطعت هذه المدينة قسماً كبيراً من عمره فاصى في ربوعها مدة تزيد على عشرين عاماً . ولا شك في ان هذا العهد هو عهد النضج والاحتمار ، عهد التفتيش والتقيب عن مثل العليا الدينية والعلمية والعلمية .

انصل في هذا العهد باشر رجال لاندلس ككبي بكر بن حلف وابن بشكون وجمع في صدره جميع العلوم المعروفة في عصره . وقد ساعده على ذلك دكاه طبري ، ومهم دقيق ، ودا كره امية ، وحيالب شاعر ، ودوق طرف ، وحسين الى المعرفة . وتعرف في اشبيلية الى التصوف فانضم الى حلقائه ، وبس الحرقه ، وحدم الشيوخ ، وحفظ تعاليمهم وتفق بها . وقد شعر في عام ٥٩٠ هـ ( ١١٩٤ م ) بحسين في الرحيل ، الى السعي وراء الشيوخ المعبدى الذين يحملون المعرفة والحقيقة والانسامة والصيعة ، فاحدث في الانتقال من مدينة الى مدينة ، ومن لاندلس الى المغرب ، فراراً اكثر حواضرهما وتعرف الى الجماعات العديدة ، ووقف على ما يمتاز به كل واحدة منها . فاداه في تونس ، واداه في غرناطة ، واداه هذا الحنين الملح يتطور في نفسه سنة ٥٩٨ هـ ( ١٢٠١ م ) ويعدو ما في المغرب ولاندلس من آفاق واسعة فعمماً ضيقاً للتصوف الشاعر ، يشد بلاداً اخرى ، ووجوها غريبة بعد ان الف وجوه شيوخه . وكان الشرق في ذلك الحين محجة كل متعلم مثقف يشد العلم الاخر والمطعمين الناهين ويتشوق الى بلاد مقدسة

نعتق بدكريات الانبياء والاولياء والعلية . مودع الاله والاصحاب ،  
 وشهد الرحال ليرد الشرق ، بقف على روائعه وينتقف بعلمه ويبحج الى  
 مكة المكرمة . وذا بالشرق يحجب له ، يكبله بحره ، فلا يصادره  
 طول عمره . رحل الى مصر ودشق ومكة فاستعا في ربوعها ما درسه  
 عن حياة ارسول والصحابة والتابعين وناسي التابعين ، وراجع ما درسه عن  
 اوحى اليه ولاهام الاشراقي واصدور الاسكندري والماء الاندلاطوني ،  
 واذا ب كل ذلك في شيء . كثير من العاطفة امرائية والحياثب الشجري ،  
 وكون من هذه الاحراء المتعددة المتناثرة مرءاً حديداً لم يتوصل الى مثله  
 احواب الصفاء في حشيم . توفيقيهم . فكان عام ١٢٠١ م عمداً حديداً في  
 حياة ان عربي . نتاجه الفكرية ومذهبه الفلسفي الصوفي . واكن هذا  
 المرج الذي ظهر فيما بعد في بعض فصول المثنوحات المكية ، وارسائل  
 الصعيرة لم يبق على حالته الاولى ، بما كان يضطرب بعض الاضطراب تحت  
 تأثير العامة . الخاصة والايمان الديني . لذلك به . يحج الى القاء في الروح  
 المقدسة ، ويحجاب ذلك ، ويحادرها اليوم ويعود اليها عدأ ، يتعزل بها ويهرب  
 منها ، يعامها ويهجرها ، يداءمها ، يقصمها . فان هذا العهد المبكي هو عهد  
 الحيرة والاضطرب ، عهد الكمر الدمي لا شك فيه والايمان المتين الصادق  
 عهد الزندة والفيلم ، قور نارة يستلم الحجر الاسود في مكة ، وتارة يجلس  
 في حفات الشعادين في بغداد . يحمل من الاولى النعجة الايمانية ، ويقبس  
 من الثانية الزرة الكمرية . امضى في سنة ٦٠١ هـ ١٢ يوماً في بغداد . ثم  
 زارها سنة ٦٠٨ هـ ( ١٢١١-٢ م ) وامضى فيها مدة طويلة . ثم عاد الى  
 مكة ومكث فيها بضعة شهر ، ثم كر راجعاً الى ابلاد الشامية فزار حلاً  
 وانتقل الى الموصل وآسيا الصغرى .

واحباً جاء دمشق فاقام فيها ومات هناك في ربيع الثاني سنة ٦٣٨ هـ  
( تشرين ١٣٤٠ م ) عدس عند مسح حبل قاصبون ، حيث دفن فيما بعد ولداه  
وكانت وفاته في منزل محبي لدين برزكي القاضي المشهور ، وقبره معروف  
في دمشق يقوم عليه جامع معروف باسمه .

وقد كان هذا المتصوف الشاعر المتفتي محلل الله ، وعظمته وجماعته  
كثير الشيوخ ، المعروف . وكان يعتقد بأنه من لمحة انفسه الى الحق  
الذين ياتون معه خاصة ، يستمعون برضاه وقرة ومروءة . فادا بدوياته  
يزجر بالاول يدح بها نفسه ، طرما اطراء كثيراً ، يسمع عليها الصعات  
الحسية . يكاد يحسن من نفسه اسما فوق طيبة البشر فوق لمائل انامية  
فهو يقول :

الله يعلم والدلائل تشهد اني امام العالمين محمد  
لكن لما وقت مراقب كونه فاداني فاسلك فيه مهند  
ولا نعلم اذا كان من عربي قط زمانه ، ولكننا نحمد له شعراً يقول  
فيه انه وسيد عصره ، وان الروح الامين العلوي الذي يظهر في المتصوفين  
الاقطاب قد ظهر فيه . فهو يقول :  
انا المحيي لا اكسي ولا اتلد انا العربي الخاتم محمد  
لكل زمان واحد هو عينه واني دالك الشحص في العصر واحد  
وما الناس الا واحد بعد واحد حرام على لادوار شخصان يوجد  
اقابل عضت لزمان همة نذل بها السبع الشداد وتحمد  
مويدنا فيه على كل حالة اله اسما وهو النصير المويد

وما دلك عن حق ولكن عاية أتني وحسادي تروم وتجهد (١)  
 ويقول في التفسر من حساده المشعين عليه الذين ينيون اليه الكفر  
 والزندقة :

خصصت بعلم لم يخص بئله  
 سواي من الرحمن والعرش والكرمي  
 واشهدت من لم العيوب عجائباً  
 نصاد عن اذكاري في عالم الحس  
 فبا عجباً في اروح واعتدي  
 عرياً وحيداً في الوجود بلا جنس  
 لقد أنكر الانوام قولي وشنعوا  
 شلي بعلم لا الوم به صبي  
 فلام مع الاحياء في نور ما أرى  
 ولا هم مع الاحياء في ظلمة الرمس  
 علوم لنا في عالم المكون قد مرت  
 من المغرب الاقصى الى مطلع الشمس



تحلى بها من كان خفلا محرداً

عن الفكر واتحمين والوهم والحدس (١)

ولا بد من ذكر يثين مما في غابة القردور :

الاول :

قلبي ولوحي في الوجود بمدى قلم الاله ولوحه المحفوظ (٢)

الثاني :

اني يثية دهرى ما لها شه من الفرائد في بحر ولا نحر (٣)

مؤلفاته :

تقدم انه من اكثر المتصوفين اشاعاً . فقد صرف معظم حياته في الوضع  
والجمل وحتى بلغت مؤلفاته حسب احصاء بر كان مائتي كتاب ٤ بحث بعضها  
في الفروض الدينية السبعة كالصلاة والصوم والزكاة والحج واسماء الله الحسنى  
وصغاته كالدخول الى معرفة الاسماء ٤ وكتاب الحق ٤ والمبع في ايضاح السبل  
الممنوع . وبنى القسم الاخر بالتصوف اسرار الفلسفية والحكمة واسرار الحروف  
كالفتوحات المكية والاعلام بشارات اهل الالهام والتدبيرات الالهية وسواها .  
والقسم الاخير يجمع الباحثين السائقين ويصم اليها ناحية جديدة تفرد

(١) الديوان الاكبر ص ٤٨

(٢) " ص ٤٦

(٣) " ص ٨٠

بها بن عربي وابن الفارض والخلع ، وهي الناحية الشعرية . ولكن شعر  
ابن عربي لا يكفي باصهار نسبة ساعر مشعوف بحب الله ويسرف في توحده  
وتشوقه . بل يظهر لنا مصا تذبذب وقه وحس . وشاعرية . ويجعلنا نشك بأنه  
ليل في المنة لالهية والصفات لصمدية ، لانا نلمس فيه شيئاً يشبه اعوام  
الارض في ولوعته وأمرته واشواقه .

فهل كانت بن عربي صادقاً في نسبة قصائده الى الله وشرحها شرحاً  
صوفياً ؟ هل عرف حب الارضي الذي موحى الشعر ويعمره تمجيراً ؟  
لم تؤثر حنة عه . ولم يكن من المتصوفين الذين يؤثرون الانتقاد عن  
المرأة ، إنشكيتو الى رهب لا يشاركون به احداً . كان يقول بالزهد في  
سبل الحياة الدائمة ، ويعلم بالانتقاد عن المرأة في سبل الله ، ولكنه لم ير  
بدا من ان يبعي عهد الازدة الاول في انشيطه بصحة فتاة حسناء . مع ان  
ابن عربي ، سواء من رعماء التصوف يجرمون على المرئيين معاشره النساء ،  
والزاح في هذا العهد العصيب . وقد اخذ حصونه عليه هذا الاضطراب في  
الاقوال والافعال . اعتمدوا على هذه الحادثة وسواها من الآراء المتطرفة  
ليذكروا عليه ايمانه المسلم الصادق . وليطهروا للحلا انه كافر ملحد .

فهل تقدر ان تؤمن بأنه كانت بنسي في جميع قصائده بالمرأة الالهية ؟  
وهل تقدر ان تعتمد على عهد الازدة لثبت انه لم يكن صادقاً في شعره  
الصوفي ؟ فقد يكون عهد المردة الحساء عهد ضعف وحور . كما يحدث  
لجميع الاحداث الذين يريدون ان ينضموا الى حلفاء المتشعبين ولا يزال  
حب الدنيا عالقاً بقلوبهم يدفعهم الى التسعم بلذاتها . وامثال هذه الحادثة  
كثير في ترجمات مشاهير المتصوفين .

ولكن حادثة اخرى جرت له تلقي شيئاً من النور على حب ابن عربي

الأرضي . وتقبلنا تؤمن بأن قسماً كبيراً من شعره نظم للتعزل بالنساء . كان في ١٤٠٨ هـ ( ١٢٠٩ - ١٢٠٢ م ) في مكة وكان في الثامنة وثلثين من عمره . وقد اجتاز عهد الحيرة والاضطرب ، وأصبح من الشيوخ الذين يدبرون أمور الأحداث ، ويسمون لهم لسل الحقة . ويبنونهم على تحمل هوأى النفس ، وشروطها ، فأدا به يتعرف في تلك الرحلة إلى فتاة في الراحة عشرة من عمرها تدعى نظام الفارسية ، تكفى عين الشمس . وكانت نظام هذه أبة في الجمار والله كاه والساحة ، تحفظ الشعر وأهم ، وتعرف إمرار التصوف وأخبار المتصوفين . فاستولت على لب الشيخ ، وأصحت له عروساً شعرية تستند جميع حباله ووجهه ، فأكثر ابن عربي في ذلك العهد من نظم القصائد الرقيقة التي تستشبع منها ألم الحب ، لوعة الشوق . وقد اسمعنا شيئاً كثيراً من الشعر قاله في فضاء البها الخرفة في مكة المكرمة ، ودعاهما نذرة بصيرة وطوراً بطاطمة :

ليست صفة خرقه الفقراء      لما تحلت حلية الامناء  
وانت بكل فضلة وتزهت      عن ضدها فعلت على الطراء  
ونكالات اخلاقها اوقدست      ونحقت بحوامع الاسماء  
نزلت نشرها ملائكة السما      ليلا نبيل ورائة الدسياء (١)  
لم يكف باطهار احلاقها الحسة      وقصائلها السامية ، انما يتطرق الى  
وصف احد مواقفها معه ، حرى في الحلم ، والحلم صدى الرغبة الحقيقية الكامنة  
في النفس :  
البيست جارية ثوباً من الخفر      في النوم ما بين باب البيت والحجر

وقبله قبلنا مقبله

وغبت فيه عن الاحساس بالبشر

واستصرخت في ثيات اطواف وقد

حسرت عن اوجه من احسن الصور

هذا امام نبيل بين اطهرنا

هذا فتيل المومس واللمس والنتظر

قالت لها قلبه الام ثابة

عشاء بجبي كئل اسفح في الصور

فما بدت فازاحت حكم عشيتي

وادبرت وان منها على الاثر

اقبل الارض اجلالا لوطانها

حساً له وانا منه على حذر

من اجل تقييده بصورة امرأة

عد التحلي فقلت القمص من بصري

ونسوة كنجوم من مطالعها

وانت مهي عين الشمس والقمر

يا حسننا غادة كالشمس طالعة

تسي العقول بذلك الفتح والخور (١)

ثم بمحاول المرح بين حب ماء وحب ربه ، يتوصل الى ذلك بتطبيق نظريته لصورية انثائه ، الخلف ، فادارقه ، وعظمته وجلاله بصغات ككاه يتحل في شكل امرأة حميلة يتمنفا ابن عربي ، يتمنى بها ويقول :  
 ... من جل تقيده بصورة امرأة

عدا تحلي فقلت القص من بصري

ويقول :

اذا تحليت لي في انسى اهم بها

ولو تحليت لي في اقح الصور ... (٢)

ويأتي في احدى رسائله على وصف المرأة الالهية والروح المقدسة .  
 فيكثر من التعابير العرامية حتى يحار الفارسي في منع وجبه ، فهو يقول :  
 « ..... واستلام واستلام » ومن ريق « دعتي » ويقول في الوصف :  
 « رحيمة الدلال ، مشوقة الادلال ، رثمة الحمال ، فائمة سلال ، عضة  
 فاضرة ، مكتنة بادرة ، وضاعة الحبين ، معتدلة العربيين ، حسرة لقد ،  
 اميلة الحد ، روضة مطلوبة ، بجلاء العيين ، مائة لمطين ، مريضة لاحقان ،  
 حنونة المشر ، عدة الكلام » (٣)

(١) ص ٥٦

(٢) ص ٢٤٠

(٣) تاج الرسائل ص ٥٥٥

كل ذلك يؤكد لنا انه لم يقف عرله على الله . واما اشرك به المرأة التي يتحلى فيها . وهذا التأويل الذي يعمد اليه الشاعر لتصوف ضعيف لا يقبله السنيون واصحاب التصوف المحافظ .

والكس ما قيمة قصائده من الناحية الشعرية ؟ لم ينتشر ديوانه الى ايدي الجيل الحاضر لان طبعه الحربين صعدا اسال . ولانه لم يرزق من يشرحه شرحا لغويا وصوريا كما رزق معاصره من المعاصرين . مع انه لا يقل عنه شاعرية . ونقصه في العاصفة الصوفية . فقد فاق معظم شعراء العربية في اختيار لمعظم الحديقة التي لم تحظر على دال سابقه ولا حقيقه . وابهر في الصور الشعرية امتانة لاجزاء الانقسام . وكأنها لوح رسام ماهر . يعطي كل ناحية حطما من الخطوط والالوان . وطرق اصعب المراحل الصوفية شعر رقيق حداد . هو يقول في رحله الى الحق :

لما بدا السر في هوادي	فني وحوذي وغاب نجمي
وحال قلبي سر ربي	وعبت عن رسم حس جسدي
وجئت منه به اليه	في مركب من سي عزمي
نشرت فيه قلاع وكري	في لجنة من خفي علمي
هبت عليه رياح شوقي	فمر في البحر مر سهم
فجزت بجر اندو حتى	ابصرت جهرأمن لاسمي (١)

ولو لم يعمد ابن عربي الى اخراج اللفظ الواحد على معان عديدة ، والى

الاكتفاء من التمايز الصوفية لكان له شأن في الشعر غير الشأن الذي له الآن . ولكن لا نجد في قصائده ما يؤكّد رأيي المستشرق « كراديه فو » اننا نقتل ان شاعريته هي شاعرية فارسية أكثر منها عربية ، ما فيها من رقة وعاطفة محروبة ، تظهر تارة وتتلشى تارة أخرى (١) .

### هل خالف بن عربي تة ليد الفكر العربي ؟

وهي من التمايز الصوفية ما لم يمه احد سواه . وقف على مختلف المذاهب فاندع في بعض نظرياته كقوله بالخلول ووحدة الوجود ، واتسع في النص الآخر كقوله في تسلسل الموجودات ، وحدوث العالم ، والحرية ، والنفس وقواها وقصائلها وردائها .

### ما هي وحدة الوجود ؟

وردت هذه العبارة عند كثيرين من مؤرّحي التصوف العربي والمارسي ، فاحتسوا في شرحها واصبحت الشروح أصعب فهمًا من الطريقة نفسها . وذلك لان اوصوع يتشعب الى مواضيع عديدة ، ونظريات غريبة ، ويقوم على تمايز لا يقرها الدين ولا تعترف بها السنة . فكانت صمومة الموضوع وحوف النقمة . كما لدينا لا تنوء المقصود او غير المقصود .

جمعت طريقة وحدة الوجود رأيي ، فاعلّطون في المثالات المدقولة ، ورأيي الاسكندريين والاشراقيين في الاشتاق ، فان حريّات العالم المتعددة التي

تدركها بمجواستنا وما يمان حواسنا من الآلات الكهربائية والميكانيكية والصيرية ، ليست مستقلة في ذاتها ، ولا تكون أفراداً منقطعة تمام الاقطاع عن الأجزاء الأخرى . وإنما يشترك عدد معين منها بحاسة أساسية تميزه وتجمعه بتحمل منه نوعاً . فالموجودات ذاتاً تؤلف جماعات عديدة ، بين أفراد كل فئة منها صلات جامعة .

وهذه الجماعات تنقسم إلى أنواع أخرى ، تدل على عدد أكبر من الأفراد ، وتشتمل على صلات أقل من الأولى . وهكذا دواليك إلى أن نتوصل إلى الإحساس التي تجمم أكبر عدد ممكن من الأنواع السابقة . وإذا أسما هذه الطريقة « الاختزالية » نتوصل إلى كثر واحد ينشعب في كل الموجودات الحية ، غير الحية . وهذا الكثر الثرى ، أو الجوهر ، هو بالقوة شكل كثر آخر صراكب .

ثم د عكسنا هذه السلسلة ، ردنا على الكائن الصافي بعض صفات عرضية ، نتوصل أيضاً إلى أدراك علة الاختلاف في عالم الشهادة . فالجوهر خمس صام ، ترد عليه الأبعاد لتبزيه عن حالته الأولى ، وتقدمه في المرتبة الحسية . ثم تنضم إليه صفة النمو ، فتدله إلى المرتبة الساتية . ثم ينضم إليه الحس والحركة ، يدقل إلى المرتبة الحسية . ثم يظهر المطلق يحصل النوع الإنساني . ثم تنشعب هذه الأنواع بعد إضافات جديدة وتعيينات مستحدثة ، تتألف الأفراد والآخر .

فإن الموجود المطلق . ١ الكائن الصافي أو الجوهر هو قائم بذاته . وهو ذات الذات في جميع الكائنات . وكل انماهيات الآخر ليست سوى صفات . لا وجود لها في نفسها . بل هي في الحقيقة اعتبارات زائدة لا تقوم بذاتها . ولا تظهر إلا عندما تصعب صفات هذا الجوهر . فالإنسان ذات له



الحياة و لىطق . والحىوان ذات له الحىاة . والحسم ذات يقبل الابعاد الثلاثة .  
والج هر ذات يقوم بالذات . كل هذه معان وصفات طارئة على ذات يقوم  
بذاته . ولكن كل واحد من هذه الماهيات يخص الوجود ويعينه ، بنزله  
الى مرتبة من مراتب الوجود . فليس الوجود من الحقيقة في حىيم مراتب  
الوجودات مع تكثرها وتعددتها وتغيرها الا الوجود المطلق . وكل ما سواه  
زائد ودخيل .

ويرى بعض فلاسفة التصوف الذين طرخوا هذه النقطة من المذهب  
الصوفي السليم ان هذا اقول يست حجة على ان المتصوفين يعتقدون  
بالمذهب الحلاوي . بلول لله في كل الكائنات . واهم يذهب مذهب  
الانبياء لانه ايس هناك اتحاد بين الوجود اطلاق ووجود آخر حسب  
كيات متعددة متفرقة لايجاد كل ما في الكون من موجودات . وقد ذهب  
محمد بن حبيب بن عبد الصمد السالي السامكي ( ٩٥٣ - ١٠٣١ هـ ) هذا  
المذهب وانت في بعضه من الوحدة الوجودية ان المتصوفين لا يشاركون  
بعض متطرفي فلاسفة الدين بقولون بوجود كائين كنا سببا لكل وجود .  
او الذين يقولون بان الله يمل في كل كائن .

ونظر ان قول السالي السامكي الصوفي لا يخالف مادام اليه سواء من  
المتصوفين الآخرين . ولا يشتد عن الطريقة اللاموتية الفلسفية التي انتهت  
الى السالي في المذبة الساصلة ، ثم قررهما ابن سينا عند كلامه عن الفيض السالمي  
وصدر الكائنات كلها عن واحد الوجود .

فله قديم ازلي . يتصف بكل الصفات الحسة التي بدر كها البشر والتي  
لا يدركونها . ومن صفات كاله ايجاد العالم على حالته الساصرة . ولكن  
كيف يتوصل هذا الكائن الواحد الوجود الواحد البسيط في ذاته وجوهه

الى ايجاد جميع العالم مظاهره المتعددة واحرائه البادية .مام انظار اساس  
والمتفرعة عن لا يمار والعقول ؟ وكيف تقدر علة واحدة بسيطة على ايجاد  
معلولات متعددة وقد انتبت التحركة الخفية ان السبب لواحد السيط لا  
يصدر الاميبيا واحداً ؟

علينا ان نذكر كلمة عن مذهب الصدور عند الاشراقيين ، لان  
المتصورين العرب ، وخصوصاً ابن عربي ، يشار كهم في هذه النظرية وان  
اختلف اهل الواحد والادواق عن اهل الاشراق في صفات العقول الصادرة  
عن الواجب الموجود .

نقدم ان واحد ، او الله ، او الحق ، او الواحد الوجود ، يوحده  
مخلوقاً سواء ، لان ذلك من صفات كماله دون ان يحسر شيئاً من ذاته . وقد  
دعا الاشراقيون هذا الكائن القتل الاول ، جعلوا له دوراً خاصاً باسمه في  
ادارة شؤون الكائنات . وهو واحد الوجود بعينه ويمكن الوجود بذاته ،  
لاننا تأمل بالواحد واحد عقلاً ثانياً ، فـ تأمل في ذاته او وجد فكما مر كلاً  
من روح ، جسم يسبح في الفضاء . ثم بفعل العقل اثباتي ما فعله الاول ، الى  
ان تطلع الموجودات العقلية او العقول المعارفة . ١ . ثلاثة كنه كما يدعونه رجال  
الدين ، احد عشر مخلوقاً . ثم تفعل السلسلة الوجودية الى العالم الذي تحت  
هك القمر ، وهناك تبدأ الاجسام والانواع المعدنية والنباتية والحيوانية  
والانسانية في الظهور ، وتنشعب الى ان تصبح اجزاء وامداداً .

فلست نظرية وحدة الوجود التي اشتقها المتصوفون خارجة عن نطاق  
الفلسفة الاشراقية ، وانما هي مذهب الصدور الاسكندري الذي تقدم  
الكلام عنه . وقد ايد المتصوفون قولهم بان الله هو الذي يظهر في كل كائن  
باسم تيملي لموسى بصورة نوره ، كذلك يقول النبي : « رأيت ربي على صورة

شاب امرد ، موضع كنه بين كني ، فحدث برده بين ثديي (١) . واذا  
 حرقته في صورة شخصية ، فاما ما من ان تكون سائر الصور الارضية  
 والهادية صور تعاليمه وصور دانه (٢) . وقد رأينا مثل هذا انقول في  
 شعر بين عربي عندما يتولى حمل الصاء ويرغم ان الله قد حل بين ، كما  
 حل في كل ثم من اثار الكائنات . وعند ما تمف على مرعي وحدة الوجود  
 يدرك معنى القوائد التي ظمها المتصوفون في اللوازم الصورية .

.....

يعتقد لاشرف قيون ودهم الكندي وناماري وابن سينا ان العالم قديم  
 الزلي ، يستدلون على ذلك ببراهين لا عمل لذكراها . منها برهان قه به ابن  
 سينا عندما يثبت ان امكان لوجود صفة سبب الي موجود هو المادة ، وبما ان  
 امكان الوجود انما ارشالي يسا به امسكرو دون حدال وحدث له مادة قديمة  
 يتحقق بها ، وعده المادة هي العصر الاول الذي تطاور ويشال في ادوار  
 عديدة حتى اصبح في صور الموجودات المتعددة التي تؤلف عالم الشهادة .  
 ولكن المتكلمين يحالون ابن سينا في هذا لرأيه وقد شار كهم ابن  
 عربي في هذه المناقعة ، وقال مع القائلين بان العدم والوجود ليسا صفتين

---

(١) هذا الحديث موصوع لا اصل له . قال ابن الربيع في كتابه : تمييز  
 الطائيف من الحديث ص ٧٩ هو امر دائر على السنة عوام التصوفة وهو  
 موصوع مفترى على رسول الله (ص) كما قاله النواج السكي . غيره اه وقد  
 فسر ه من رواه ابن المراديه وروا العام لا رؤية البغضه والدين . وعلى كل  
 فالحديث لا اصل له ( الشيخ مصطفى الملايني )

(٢) المعامل البليكي وحدة الوجود ص ٣٠٨

تضافان الى شيء آخر . ونفاهما الشيء نفسه (١) وهذا ما مرأه عند العزلي في كتاب تهافت الفلاسفة ، وهذا ايضا مما لم يقر به فيلسوف الاندلس ابن رشد . ولكن ابن عربي يريد على افوال المتكلمين فكرة جديدة ويحاول التوفيق بين المذهبين ، فيقول ان الكون قديم محدث ، موجود معدوم ، قديم لانه موجود في العلم القديم ، منصور فيه ازلا ، وهي معنى مراتب الوجود . محدث لان شكله وحيه لم يكونا ثم كفا . مستخرج من كل ذلك ان زيدا موجود في العلم ، معدوم في لعين ازلا . ونحن اذا اسما النظر في هذا التوفيق نرى ان ابن عربي يحاول اتباع رأي ابي حامد في القول بان الله اوجد العالم بأرادة قديمة ، ردأ على لقائلين بان حدثت لهالم يدل على استحداث ارادة جديدة في الواحد . وقد اظهر ابن رشد خطأ هذا البرهان في كتاب تهافت التهاات عندما يفرق بين ارادة العمل ومعل الفعل . لانا نقدر ان نمصل المشيئة عن المعلول ، واكسا لا تقدر ان يوجد السب ثم توقف فعله لفترة من الزمن لاحداث السب .

.....

يحمد ابن عربي عندما يشكلم عن حدوث العالم او قدمه وعن اول الموحودات الى طريقة تجمع بين الاساطير الوضعية التي تنفق عليها المتعلمون وعلم الكلام وبين التمايز والصور الشعرية التي انتاز بها عن سواء . يستندان اول موحود صدر عن الواحد حسب الطريقة الاشراقية هو جوهر بسيط روحاني فرد ، يدعوه الباطنيون « بالاماء السنين » تدعوه السنة

(١) ابن عربي : انشاء المواتر من ٦ — ٧

H . S . Nohberg « Leiden 1919 »

Kleinere Schriften Des Ibn Al Arabi

« بالعرش » وبعده « الاشرق بن » بمرآة الحق او يا سقل الاول « . وقد كان هذا الجوهر سببا لايجاد كل ما في العالم من كائنات . وها نشيط النفس الشاعرة في صدر التصوف ، فيجعل من هذا الجوهر اسانا وليس كالناس ، يرفعه امام ربه ليستشعر الى اقواله وليصفي لكلامه : « انت المرآة وذك بطر الى موجودات ، وفيك ظهرت الاسماء والصفات . انت الدليل علي . وحدثت حلقة في عالمك تظهر فيها اعطيتك ، تقدم بانوارهم وتضئهم بامرارهم . واث المطالب بجميع ما بطراً في الملك »

وإله هذا الرسول او الملك مسكن مدة معرفة المرات ، متوحدة الحقائق ، واسمة الطرائف . واسكن فيها رعيته وحاشيته وارباب دولته ومحاها حضرة الجسم والذن . وقد قامت على اربعة اعمدة وهي الاسطوانات والصاعرة . واثام الخليفة في موضع دمي وقلب ، ثم في الله له مشرقا عاليا هالكا في ارفع مكان في هذه المدينة ، سماه الدماغ ، وتبع له فيه طاقات ونوافذ ، ويشرف منها على ملكه . ثم بقى له في مقدم ذلك المتزوجة حزانة سماها خزانة الخيال ، وحملها مستقر حباياته . امام في وسط المتزوجة خزانة المكر الذي ترتبه اليه استحيالات فيقل منها الصحيح ويرد الفاسد . وبقي له في آخر هذا استره خزانة الخيط . وحمل هذا الدماغ مسكن الوزير . ولكن الخلق لم يتم في ذلك ، ولم تكتمل على الجوهر مسرته ، ونفسا طل في حاجة الى ما تحتاج اليه جميع الكائنات الحية : الى زوجة . فابجد الله النفس وحملها له حرة ، فاصبح الروح زوج النفس

وهنا تظهر النظرية الافلاطونية التي قبسها المتصوفون عنهم ، واذنا بموضوع النفس يستتبع ثورتها ، وسيناتها حناتها . لكل منها عاية وهووس واحلام ومثل عليا . ولم يبق الامر على حاله هذه ، وانما اوجد الله في هذه المملكة

أميراً قويا كثير الرسل و غلول سماء الهوى . بنارخ الخليفة سلطانه ، ويكيد له يستمتع بما سحر له من عيش هني و مر ناند ، و ارحد له وزيراً سماء الشهوة ، فرز يوماً في احتاده وحرصه يشتره في بعض سائبه ، فاشرفت النمس من خدرها عليه مرآها ورنه ، وطر كل الى صاحبه . فانحنت له وابتسم لها ، وفتشوق اليها وحنن اليه ، فذا بالبحر يجمع بين قاييهما ، بين النمس زوج احبوبة والهوى الامير الجلي . فاعل الهوى الحيلة في لاحتج بيها . فسا زال بهادها ناس ما سنده حتى لم تعد تطرق الهير عنه ، والخليفة عاقل عن هذا . واصل له في يدرك ذلك كرم يمي عنه لامر ، وهو يظن ان النمس لا يد حائدة عن غيبها .

وكانت اسس حائرة في امرها ، لا تدري اي طريق تتسع ، والى اي قلب تميل ، فهي تتردد بين قوبين ، هذه بتاديبها وذاك بتسايبها . فادأ اطاعت الهوى كن التعبير وكن لها اسم : « مارة بالسوء » . وان احاطت العقل كان التطهر ، وضح لها اسم « المعاشنة » .

فادى الروح النمس في احد الايام فلم يسمع حواك . وداكل من في القصر ، احجم مطرق كائهم في انتظار عاصفة . ولكن الوزير ابري يحدث دولاه بما كان ، ويروي له خبر النمس الامارة بالسوء الحاربة من ممرها الزوسي ، الشدعة وراه الهوى . فعض الخليفة وارسل ويره اليها يحمل لها الاصر بالعودة ، مهدداً بمسير مظلم اذا لم تدعن له . ودا الهوى الامير الشجاع يزل في صاحبة قصر . يهدده بالموت ، وبعده بحراب ملكه ، وعتقت شمله ، وقتل رجاله وادعوانه . فعاد الى ربه راجياً ، والتقى بامره بين يديه صارماً ، حتى اعانه على امره ، اصلح من شأنه ، واعاد الحاربة الى طاعته ودرج الهوى ووزيره وجوده .

فأين عربي في هذه النظرية يمزج بين مذهب الاشرائيين في القول  
 المخارقة وبين مذهب العلماء الطبيعيين منهم في اتحاد العناصر وتمازجها لظهور  
 المادة . وقد تعود العرب تمثيل العالم الكبير بالاسان ، والاسان بمسلم  
 كبير ، واستعراج الحكم من ذلك . فملكه الخليفة في العالم باسمه ،  
 وروحه في مثال الارواح ، وعنه مثال النعم . وقد احدث هذا العالم  
 حسب نظريته لاسل الخليفة ، وهو في حريم اعماله مسير بقوة سلوية ، في  
 قوة الخالق . «عالم للملكوت هو المحرك لعالم الشهادة وهو تحت قهره واتساعه  
 فلا تصدر من عالم الشهادة حركة ولا سكون ولا اكل ولا شراب ولا  
 كلام ولا صبر الا عن عالم الغيب . كل ما في الكون من خير وشر اوحده  
 الله الحكمة لا يدر كها سواء .» (١)

وتناقص نظرية ابن عربي في المعربة والقدرية برأي التلازمة المسلمين  
 فلا يسلم بحرية الارادة والاحتياط كما يسلم بذلك علماء الكلام . بل ينتقد  
 ابن كل ما في الوجود من اعمال هو فعل لله وحده . كتدرك في اللوح ملا  
 مقر منه لهاد . ويحار في التوفيق بين هذا القول وقول آخر يثبت فيه ان  
 الاسان مطوع على الشر ، انه يقدر ان يصلح نفسه واحلافه اذا اراد ذلك  
 وتأمر على ترويضها في الحسنات .

## الاخلاق :

للمعالم على طبيعته الشر . فانما استقرض مع طبيعته دون اعمال الفكر  
 كان كاليهاثم لان الاسان لا يتميز عنها الا بالفكر . ولو لم تكن طبيعته

شريعة لما احتاج الناس الى الشرائع والسنن والسياسات تقيد الفرد سبل  
افعاله ، فتعمله مسؤلاً عما تفعل يده . اما الملة التي تجعل الاخلاق مختلفة  
فهي النفس . وللنفس ثلاث قوى ، وهي ايضاً تسمى بعوساً : النفس الشهوانية  
والنفس العصبية ، والنفس الناعقة . وتصدر جميع الاخلاق عن هذه القوى  
فبها ما يمتنع باحداً من ، وبها ما يشترك فيه قوتان ، وبها ما تشترك فيه  
القوى الثلاث . ومنها ما يختص به الاسل . ومنها ما يكون للاسلاف  
وغيره من الحيوان (١)

واذا اسما النظر في هذا التقسيم نرى ان ابن عربي يحاول تقليد العراقي  
في تمييز قوى النفس والتعريق بينها . ويحاول ان يبيد جميع عواطف الساد  
واقاعهم الى هذه الاسام العسية . ولا يقتصر على هذا بل يتعداه الى التباس  
نظريته القائلة بالاعتسـال والمعاملـة التـوازن . والاولى من تعاليم ارسطو ،  
والثانية والثالثة من تعاليم افلاطون ، احدها لامام ابو حامد العراقي وبقي عليها  
نظريته في الاخلاق اسطري والعملي . ثم جاء ابن عربي فاعتداه وتأثر بها  
تأثيراً به ومزج بين تعاليم الميسوعيين الاعرقيين وتعاليم ابي حامد ونواحي الدين  
الاسلامي .

شبه افلاطون النفس بعربة يجرها حوادل . الحوادل الاول يمثل القوة  
الشهوانية ، والثاني القوة الغضبية ، اما السائق فانه يمثل القوة اعاقلة . فاذا  
توصلت القوة العاقلة اليها من ذكاء ط الى التحلـك على القوتين الباقيتين  
وتسييرهما حسب ارادتها ، فترسبهما عندما تريد وتكبح من حاحهما عند



المخاطر . . . عندئذ تكون الاخلاق حسنة والانسان فاضلا ، والاعمال  
صالحة . وهذا ما يعتقد ابن عربي .

### ١ - النفس الشهوانية :

هي للانسان وساوس الحيوان . تلبس حليم اللذات والشهوات الجسمية .  
وهي قوية جسارة . اذا لم يقهرها الانسان ويهذبها ملكته استولت عليه .  
وادخلت ذلك وغرحت عن طاعته هسرتهديها ، فيصبح الانسان كالحيوان  
ويضيع دينه ويكثر فجوره .

### ٢ - النفس المنفعية :

يشارك فيها الانسان والحيوان . وسها يكون الغضب والحراة ، وشبهة  
الثأر . وهي اقوى من النفس الشهوانية واخرى صاحبها . اذا تمكنته يظهر  
فيه الخرق والحقد . ويبدى محبا للذلة ، متبذرا على من آذاه ، مقدما على من  
فلأه ، طابعا للفرس من غير وجهه . فادام يتسكن من الرئاسة من وجهها  
توصل اليها بالحيل الخبيثة .  
اما من ساسها وتدير امرها كان رجلا حكيما وقورا عادلا . وخير  
الامور الوسط . فاد كانت متوسطة كان صاحبها متوسط الحال . فان حيد  
الاحلاق بين التعريط والافراط كما يقول المزملي .

### ٣ - النفس الزاطقة :

يتميز بها الانسان عن الحيوان . وما يستحسن المحاسن ويستقبح القبائح ويهذب قوته الباقية . ولها فصائل ودرجات :

أ - الفصائل : اكتاب العلوم ، وقهر النفسين الآخرين ، والحل على كل عمل الخير .

ب - الدرجات : الحث والحذبة ، والميل الشريرة ، وحث الناس عليها . وهذه القوة لجيم الناس ، الا ان منهم من تطلب عليه فصائلها يستعذبها ويستعملها . ومنهم من تطلب عليه درجاتها فيأثمها . اما الحدث فانه يتأثر ببيئته فيكسب الاخلاق من بكثرة ملايته ، ومن ابوه واهله . ويأخذ ابن عربي في ذكر العناصر التي تؤثر في الاخلاق وتكونها وتطورها ، واستمداد الاحداث لاقتبال جميع المؤثرات الخارجية من الامل والصعب . ثم يقسم الاخلاق الى صفات جيد كرها ويدرس اشهرها وطرق بلوغها ، والى درجات يبعدها ويوحى الناس بالاعتقاد عنها ، محتدياً في كل ذلك نظريات الامام المزالي وتلقيحه .

### هل كان كافراً ؟

كثر المادحون والشعرون . وانبرى كل فريق منهم يلصق به من الحسنات ما لم يعرفه ، ومن السيئات ما لم يقتضيه . كان الخاتبة والسيون المحافظون يتمحصون مؤلفاته ويؤجلون كتاباته ويمرحونها كما يريدون ليظهروا للعامة كبره ، وكان الاصار اهل المواجد يخرجونها حسب الكتاب ويتحدثون

بكرامات ابن عربي وتقواه ، حتى اصبح شاعل المسلمين عامة في البلاد العربية . الفارسية والتركية ، في الشرق والغرب ، في المملكات الصوفية والمملكات العثمانية . وكانت هذه الخصومة سببا في انتشار كتبه ، واكباب الناس عليها حتى اصبح كل فرد من الافراد حاكما في خصومة المظفرين والمخاضين .

### الخصوم :

فالعمنة التي نهضت عليه وحاولت تحريم كتبه العديدة احدثت عليه بعض نقاط حاولت ان تظهر كذبه فيها :

فهو يمس بمادق في عاصمته الصوفية ، وقد اعتنق خصومه في اظهار ذلك على ما قدمناه من عرامه الارضي في عهد الارادة وعهد الضميج . وكان جريئا في آرائه وذكر ابيانا نشعرنا بالخلول و نظرية وحدة الوجود . فهو يقول في شجرة الكون : « لي نظرت الى الكون ونكوبته فراءيت الكون كله شجرة ، واصل نورها من حبة « كن » . قد لقيت « كن » الكونية لمفاح حبة « نحن خلقناكم » . فاعتقد من ذلك ابر ثمرة « فكل شيء خلقناه بقدر » . قال ما دلت هذه الشجرة ثلاثة اعمدة ، اتخذ غصن ذات اليمين . . . . . واحذ غصن منها ذات الشمال . ونست غصن منها معتدل القائمة على سبيل الاستقامة ، فكان منه الساقون المقربون . فلما ثبت واستعمل جاء من فرعها الاعلى ، وحاه من فرعها الادنى عالم الصورة والمعنى . فما كان من فتورها لطامة ، وستورها الباردة فهو عالم الملك . وما كان من قلوبها الباطية . لبات منابها الخافية فهو عالم الملكوت . وما كان من لغاه الحار يمي في شريانات عرونها الذي جعل به ممرها وحياتها وسموها فهو عالم الخبرات

الذي هو سر كلمة «كن» ، ثم احاط بالشجرة حائط ، حد لها حدوداً ،  
ورسم لها رسوماً . فحدودها الجهات ، وهي الملو والفل واليهن والشمال  
والمورا ، والامام . واما رسوماتها وما فيها من الانلاك والاحرام والاملاك  
والاحكام والآثار فهي بمرلة ما يستعمل به من الاوراق (١) .

وقد ورد هذه الماني في كثير من كتبه وظمها شمرآ ، فقال في احدي  
رسائله : « فلا يتم نصر الا عليه ، ولا يخرج خارج الامنه ، ولا ينهي  
قاصد الا اليه . يا اولوالالباب اين العيبة والحمار »

ومن عجب اني احن اليهم  
واأل شوقاً بهم وهم معي  
فتبكيهم عبي وهم في سوادها  
ويشكوا لولي قلبي وهم بين اضامي  
ألا يهوق هذا في التطرف قول الخلاج :  
ما زجت رهك روحي في دنوي ومعادي  
وقوله عندما قتل :

ما قد لي عضو ولا معصل      الا وفيه لكم ذكر  
وحرمة الود الذي لم يزل      يطمع في افساده الدهر  
ما حل لي عند نزول الملى      يأس ولا مسني الضر

الحق يقال ان ابن عربي لم يظفره ملبأً بعيداً • فصار على خطي  
 الخلاص، ولكنه لم يرزق بامر متعصب بك • كما رزق الشهيد الصوفي • وهو  
 وان تأثر به • وتسمه في نظره • فقد عرف كيف يتر عن المانة بمض  
 الاستنار • وعرف كيف يتقرب اليهم باحاديث بقاها عن النبي عند وصعه  
 المكتف ككتار «الوحيات المكية» • وضعه كما يزعم بعد وحي ابي •  
 وتحكم فيه عن امور الدين بسباب لم يسقه فيه احد من علماء الذين سوسه  
 ابي حامد العراقي • وابن عربي يحشى لعامة ويمدح تلامذته واتساعه منهم  
 ليقول «لاراحة مع حقائق فارح الى الحق • فهو اولى بك • ان عاشرتهم على  
 ماتت عليه فتعرك • فاستر الى • وهذا الخوف والتقية دعاء في مؤلفاته الى  
 القموض حتى يصعب على الناس فهمه • فقد قال في مقدمة كتار «شق الحبيب»  
 وهي رسالة صغيرة من مجموعة رسائل لاهية : «اعلم وفقك الله تعالى ان هذه  
 الرسالة فريدة في دفاها • وهي من العلوه التي يجب سترها • ولا يجوز كشها  
 الا لاربابها • هذه الامرار اخرى الله لعامة عند اهل الطريقة ن لا تأمن  
 احداً كلاماً • ثم يعمد الى من تقع الرسالة بين يديه فيحذره ويقول :  
 «هي امانة بين يديك يامن حصلت بيدك • فان كنت من أهلها حمل لك  
 صراذك • وان كنت من غير أهلها فابحث عن اربابها • » فقد كان يحشى ان  
 يؤثر به الامر كما آكل بالخلاج • لذلك يدكره كثيراً في شعره • وثره  
 ويتحفه عبرة لنفسه :

فن فهم الاشارة فليصنها      والا سوف يقتل باللسان  
 ويقول •

علمه اكل علم      شامه اعظم شان

هام في لما رأي في مقاصير الجبان  
لا اسميه فاني خائف حد السان

.....

### الانصار :

ولكن نقراً آخر ليس بالقليل المحب بين عربي فيه وليا ومتعبداً  
صادقاً له ، كرامات وصلوات مستحاة ، قدافع عنه ، ووصل في سبيله ،  
وعل أن يعرف من الألمان ما علق فيها من التعامل على الصوفيين عامة  
والمتطرفين منهم خاصة . وقد انتصرت فئة الحمدين على الدفين ، وابتدت  
صلاح تعاليمه وصدق بيته وفائدة مسعاته . وقد واقف عنه الشيوخ في  
مختلف الأمم . المدن ، أصدر ، استأوى التي تظهر لقامه صلاحه . مهاجري  
شيخ تركي عاش في أيام السلطان سليم بثبت فيها أن الشيوخ لا كبر ، الدليل  
الصادق ، وقطب المارفين ، وإمام الموحدين محمد بن علي العربي العائني الحائقي  
الاندلسي قد اضر كتماناً مذهبة وعصائب عربية ، ذات هذه الكتب  
والكرامات يعتقد بها العامة والزحاح المؤمنون . وإن الذي يمترض عليه  
يحط ، والذي يصر على اعتراضه يصل . وعلى سلطان وأحب معاقته وعادته  
إلى الصواب .

والكن كيف مؤول ما ذكره ابن عربي عن الله عند كلامه عن الاتصال ،  
وما ورد عن الخيلوية . وحدة الوجود ؟ وكيف توفق بين هذا التطرف  
الذي أدى بالحلاج إلى الموت ، وبين إجماع علماء الإسلام من ترك وفرنس  
وعرب على تأييد تعاليم ابن عربي ؟

يرى بعض تلامذته في شطحائه وحروجه على السنة اثرأ لانماله بالله .  
 فيقول احدهم : « ولولا طعنه في اسكلام لم يكن به بأس » ولعل ذلك  
 الشطح وقم منه حال سكره . غيته « . ويقول آخر : « الذي يهيه من  
 كلامه حس » والمشكل علينا بكل امره الى الله تعالى « وما كلفنا اتباعه «  
 ولا العمل بما قال « .

والكسا يعتقد ان ابن عربي كان اكثر نقيه من الخلاح كما رأينا ذلك  
 في المقاطع التي وردت « بعد النار للمظي والملي يقصيه عن امامة ولا  
 فيه انظار الامراء اليه . لان الامراء في تاريخ الدولات العربية لم يصطهدوا  
 بالملاسة الا تحت تأثير الشعب فان عربي الذي عرف هذه الحقبة لاساسية  
 للمعاصرة على حياته ضل بتعاليمه على امامة واختلما عن الطالبين في اسلوب  
 بعيد عن افهام المتدئين « وظله بعيداً ايضاً عن دوافع المالكيين .

ثم انه تقرب الى الناس بربارته لاماكن المقدسة وله ترك ههنا «  
 وخصوصاً بوصف الكتب التي تتكلم عن امور الدين كالإكتائين الذين  
 وضعها بعد حي النبي وهما لغتوحات اذكية وافصوص « بها يشترانا بان  
 الكاتب قد درس الدين الاسلامي درساً به كثير من العمق والاحتهاد «  
 وقد عمد عدد كبير من علماء الاسم الاسلامية الى شرحها ودرسها وشرها  
 بين العامة .



## ابن الفارض

( ٥٧٦ - ٦٣٢ هـ ) ( ١١٨١ - ١٢٣٥ م )

### حياته :

وأبنا عند درسنا ابن عربي به كان شاعراً . وكان الخلاص شاعراً أيضاً . ولم يقتصر الأمر على مذهب المتصوفين فقط ، بل تعدى بها في القرن الثاني لمعري شاعرة متصوفة تدعى رابعة العدوية عاشت في وحدة امساك في الصخرة ، وماتت الهامس المعري غيبون عاماً . وشعرها مشهور يتناقله المتصوفون في حلقات الذكر . وأكبر شاعر التصوف الحقيقي الذي سار صيته ، داع شعره على جميع الالسة هو دهن شك ابن الفارض .

والعربي منذ الحامية يصعد إلى الكلام المنق في الموروث يعبر به من العاطفة التي تنور في صدره . فكان الشعر ، الوسيطة المثلى للتعبير عن احساساته ، وعن آلامه وأفراحه وآماله . وقد تكون هذه الآمال والآلام والأفراح دينية فينشع الدين يوشاح الشعر كما ترى ذلك عند المتصوفين عامة وابن الفارض خاصة .

حياته سلسلة من الأسرار والغرائب . أشهر شخصية عرفها التصوف العربي منذ نشأته إلى الآن . لم يبق أدباء ، متصوف ، أو مفكر إلا وترنم بأبياته . ولكنه رغم شهرة اسمه ، واقتدار شعره ، ودبوع كراماته ، واشتهار صلاحه



فإن الذين عنوا بدرسه قليلون مادرون . فكاد نجهل في الوقت الحاضر قسماً كبيراً من شأنه وأسرته والبيئة المترلية التي نشأ فيها ، والمطالع الذين درس عليهم ، الثقافة التي فُتسها في حياته .

هل كانت علومه دينية محضة أعدت ذهنه لانتقال التصوف ؟ أم كانت مزيجاً من الدين والفلسفة ؟ أم كانت أدبية فلسفية ، فاشاً على الكفر بالدين ثم تحول تحولاً عارياً من عالم التجارب والاستقراء إلى عالم الألفاظ والاشراق كل ذلك لا نألفه معرّضاً ، ولم يقله أحد من المترجمين أو المعاصرين له . كل ما نعرفه أنه يدعى الشيخ أحمد بن عمر بن أبي الحسن بن المرشد ابن علي ، وأنه حموي لأصل ، يكنى ابن الفارض ، نسبة إلى أبيه القسي كان يفرض ما للنساء على الرجال . ولد في مصر عام ٥٧٦ هـ وتوفي فيها سنة ٦٢٢ هـ ودفن في القرائنة في صفيح حبل المقطم تحت المسجد المعروف بالفارض .

وإن كان ما الدواعي التي أهلب به إلى حياة التقشف والزهد والماء بعب حب لله ، الاعتماد عن العالم الديوي ؟ هل دفعه الفقر إلى مثل هذه الحياة ؟ أينس من ديم الدنيا ولتتحاً إلى الصلاة وانتظار السعادة في جنات النعيم ؟ إن ما لدينا من المعلومات القليلة عنه ثبت لنا أنه كان ببش في محوطة وأنه كان قطعاً صوفياً توفيه قود المريدين والشيوع من كل مكان فيبرلون واره على الرحب والسعة ، ويقف عليهم من ماله خاص ، ويكرمه وفادتهم ، ويسهل لهم سل البش ، فيرحسون إلى بلادهم شاكرين ، أو يتنقلون إلى بلاد أخرى لأهجين ناشاء على كرم الشيخ وسعائه . ثم إن ابن الفارض لم يستعبد في الاتفاق على أخوانه المتصوفين على صلات الملوك والأمراء ، كما كان يفعل سواء من الشيوع أصحاب النعوت ، وإنما كان يهرب من ذوي

السلطان ، وبميش بعيداً عنهم ، وترفع عن صلاتهم ، ويتفق عيانه في جو مشع بالروحية الصوبية ، يساهم في صمونه ، يستمعون بذلك الملوك ، ويحتقر مساعدتهم ، ويرى فيها تمهيداً لحربته وتلويناً لطهارة يده . وليس ادل على ذلك من الحادثة التي يرويها سبطه .

يحكى ان السلطان محمداً الملك الكامل كان يحب اهل العلم ويماهرهم في مجالس يختص بهم . وكان يميل الى فن الادب . فتذاكر معهم يوماً في اصعب القوافي . فقال السلطان : من صعب الياء الساكنة . فن كان منكم يحفظ شيئاً منها فليذكرها . فتذاكرها في ذلك فلم يتجاوز احد منهم عشرة ايات . فقال السلطان : ما حفظ منها خمسين بيتاً قصيدة واحدة وذكرها . فاستحسن الجماعة ذلك . فقال الامام شرف الدين كتب سره : ما حفظ منها مائة وخمسين بيتاً قصيدة واحدة . فقال السلطان : يا شرف الدين جمعت في حرائقي اكثر دواوين الثمراء في الحامدية والاسلام . اما احب هذه القافية فلم اجد فيها اكثر من الذي ذكرته لكم ، فاشدني هذه الايات . فاشده قصيدة الشيخ البائية التي مطلعها :

سائق الاظعان يطوي اليد طي

منعماً عرج على كتاب طي ...

فقال السلطان : يا شرف الدين لي هذه القصيدة ؟ فلم اسمع بثلها ، وهذا نفس محب . قال : هذه من نظم شرف الدين عمر بن الفارض . فقال : وفي اي مكان مقامه ؟ فقال : كان معاوراً بالحجاز ، وفي هذا الزمن حضر لي القاهرة ، وهو مقيم بقاعة شططانية في الحامم الازهر . فقال السلطان : يا شرف الدين خذ منا الف دينار . توجه اليه وقل عما : ولذلك محمد يسلم عليك

ويسألك ان تفعل هذه مه يرسم الفقراء الوردية عليك . فإذا قبلها فإسأله  
الحضور اليها تأخذ حطاً من يركته . فقال : مولانا السلطان يعني من  
ذلك . فإنه لا يأخذ الذهب ولا يحضر . لا قدر بعد ذلك ان ادخل عليه  
حياء منه . فقال السلطان : لا بد من ذلك ، فأخذ القاصي الذهب وقصد الى  
مكان الشح ، فوحده وفقاً على الباب ينتظره . فابتدأ بالكلام وقال :  
مالك ولقد كرتي في مجلس السلطان ؟ رد اذهب اليه ولا ترجع الي سنة .  
فرجع وقال للسلطان : وددت ان افارق الدنيا . لا افارق رؤية الشيخ سنة .  
فقال السلطان : مثل هذا الشيخ يكون في زماني . لا أروره . فلا بد في  
من زيارته و زيته . فمر السلطان في الليل الى المدينة مستحيماً هو ولغيره  
الذين غابوا السكالي و جماعة من الامراء . فلما احس بهم الشيخ خرج من  
الباب الاخر الذي بظاهر الجامع وسار الى نهر الاسكندرية ، وقام بالنار  
اياماً (١)

### اخلاقه

لا نعلم اذا كان الفخر نقصاً او كلاً في اخلاق المتصوفين ، ولكننا  
نعلم — كما تقدم — ان ابن عربي لم يكن كثير التواضع ، ولم يرض ان  
يقوم بدور تنوي بين المسلمين عامة والمتصوفين خاصة ، بل حاول ان يجعل  
من نفسه مخلوقاً فوق كل المخلوقات . اما ابن العارضي فلم يقف عند هذه

---

(١) قلنا ابن الخوري في مقدمة : جلاء القامض في شرح ديوان

الدرجة من المبالاة ، وانما تعدى ابن عربي ، ونظر الى امد ما انظر اليه ،  
لمرأى تارة تحلي لله في ذاته ، وراى تارة اخرى انه علة الوجود او السبب  
الذي من اجله سارت السيارات ، وافتت الكواكب ، وحدث الجناد والنبات  
والحيوان . فهو الذي يقول في الثانية الكبرى :

وإدري لم يافل وشمسي لم تغيب

وبي تهدي كل الدرري المنيرة

وانجم افلاكي حرت عن تصرفي

بملككي واملاكي لاسكي خرت

... ولست ملوماً ان انت مواهي

وامنح اتباعي حزيل عطيتي (١)

ويقول في مكان آخر من القصيدة نفسها :

.. وكلهم عن سبق ممسي دائر

بدائرتي او وارد من شريمتي

واني وان كنت ابن آدم صورة

فلي فيه معنى شاهد بابوتي ...

... ولولا لي لم يوجد وحود ولم يكن

شهود ولم تهد عهد بدمه

## فلاحى الا عن حىسانى حىانه

وطوع مرادى كل نفس مرىدة .. (١)

ويتابع التفرع على هذا لوتر ، حتى يخاله الفارى محسوساً او موصوفاً  
او كائناً يشايم اخلاجه غير الخلاج من المتطرفين المارقين عن الدين والسنة .  
ولا شك في ان سبب دهشنا هو ما مره عن خلاقى من المعارض لقانع بما  
تيسر لذهبه من امره . انه لا يطبق صحة السلاطين ولا يقل عطية ، ولا  
يفتش عن الشهرة ولا يكسر احداً من يده . وكيف يتوصل رجل هذه  
صفاته الى ان يحمل من نفسه عنه الكون وما فيه من كائنات شوية ؟؟

فمر بالتصوف حالات بداية عصية تلامشى فيها كل ما يحيط به من  
المحسوسات ، ولا يبقى من دونه سوى فكرة وجوده . وهذه تتعلق بالذهب  
الذى يقول بان الله كل شىء . وان هذه الفكرة هي سره من الحق الاكبر  
ويدرك المتصوف انه الفرد الوحيد ، او من لافراد العليين الذين توصلوا الى  
فهم حقيقة الكون المسمى المتعالي وحقيقة الله نشأة اللامتناهية ، فيرتقم  
نفكرته الى اعلى درجات الوجود ، وبلغ به الفجر الى ما لمع عند ابن عربى  
وابن الفارض .

واكسبوا ودان شير الى ان هذين المتصوفين لا يتفقان في عسيتهما فهما  
على طرفي نقيض . عرف الاول مكائته لروحية ، فحاول ان يجعل لاهوته مكانة  
عالمية لتأثير في عقول المرئيين والشيوع المحدثين بما وضعه من الكتب التي  
تجسم بين العلم الصحيح والدين الصادق والشمودة والكبر . وادرك الذاتي

عظم مكانته الروحية ، ولكنه لم يحاول قط ان يثق عليها مجداً عالياً زئلاً ،  
 لئلا يبدأ عن المأذنة منصرفاً الى تأملاته وحلامه الصوفية قاصداً من السعادة  
 بالانجذاب والوصل ومما غاية المآيات . لذلك لا يعطى الناس الى ما جاء في  
 شعره من الفخر والامرف في مدح النفس .

لا يميل الى انكار صفاته الاصلاحية التي تحلى بها فقرته من قلوب  
 معاصريه ، وجملة منه ذلك القطب الصوفي الذي تتفاخر عليه وفود المدارس  
 والمفتشين عن الحقيقة في كل قطر وبلد . ثم ما لا تقدر ان نحاري حقيقته  
 القوي الصق بمحده كل ما يمكن ان يحدث في الاساية من صفات الكمال  
 لانه بصورة لنا بشكل الهي اكثر منه انساني . وابن الفارض كسواء من  
 المتصوفين اسان يحمه في نفسه روحانية المذهب وضعف الاساية . كان  
 جميلاً صبوراً ، قسماً الموحدة ، مذهب الطلعة ، ابيض ابشرة ، عليه روعة  
 وجلال . وكان عذب المنطق ، فصيح البيان ، متمسكاً بالاسماء المقدسة يرددها  
 في كل المناسبات ، ويؤثر بها في زمان سامية من اصحاب الدين والدنيا .  
 وكان — على خلاف معظم الشيوخ المتصوفين — عفيف اليد من مال  
 مريديه ، بعيداً عن الدنيا ، محباً لمذهبه ، لا يمكن احداً من تقبل بده .  
 ولا يرحو مكافأة مادية على جهاده الروحي .

فاذا احتضنت كل هذه الصفات في رجل واحد ، وكان لصاحبها من  
 المال ما ينكبه من الاستعداد ، وما يساعده على اكرام ضيوفه وزائريه ،  
 نزول دهشتنا من المكانة السامية التي كانت لابن الفارض في قلوب معاصريه  
 ثم في قلوب الاجيال التي تلت وتناقلت كراماته وذكريات حياته .

## ابن الفارض والحب :

كان عاشقاً لشيش : العرلة : الله . فاقسمت حياته بين هذين القطبين  
فتاه بحوار مكة وجبالها ووهادها حمة عشر عاماً فاراً من الناس ، مبتعداً  
عن الدنيا التي يتصدون لها ، يقفون في حياها القسم الاكبر من حياتهم ، معشياً  
بين الامكنة المقدسة عن اسم يد كره بار دهي . يقربه من النبي والصحابة  
والمقربين اليهم :

فلي بعد اوطني مكنون الى الملا

وبالوحش أسي اذ من الانس وحشي

كل ما كان يراه هناك بق كره حبه ويمر نفسه الرقيقة في صوم  
الشعور الديني المبتق ، لذلك يراه يردد في كل حين اسماء تلك الامكنة  
لعذبة جرسها على اذنه ، وقفا تحلو قصيدة له منها :

انشر خزامي فاح ام عرف حاجر

يام القرى ام عطر عزة ضائع ؟ (١)

ثم عاد الى مصر . والاهل هناك بانتظاره . فالحياة في القاهرة غيرها في  
مكة . فهنا الاولاد والزوجات والاصحاب والتلاميذ يريدون ان يأخذوا  
حظهم من قربه والتحدث اليه والاستماع الى كلامه . فهو اداً يجبر على الاعتماد

عن حبيبه الاكبر ، وهو لذلك متألم متبرم ، يشد الخلاص من هذا الامر  
الاجتماعي :

بين اهليه غريباً نازحاً وعلى الاوطان لم يمطفه لي (١)  
وهو يحن الى العودة الى حيث كان ليفرد الى نفسه ، ولكن الانتقال  
من القاهرة الى ام القرى او الاتحاد عن مدد لمدة طويلة ليس من الامور  
البسيطة التي يقدر الانسان ان يعطيها في كل حين ، فيتردد ويحار في امره ،  
ولا يرى بداً من زيارة بلاد الشام . فيشد الرحال اليها ، ينتقل الى مدينة  
القدس ، فيقترب من الامكنة المقدسة التي تذكره بالمسيح ، تعاليمه ومعراج  
لرسول العربي . ثم يتابع رحلته الى حواضر الشام ، ويرور دمشق ، ويتعرف  
الى شيوخها ، ولكنه لا يطعمن اليها كما اطعمان العربي ، ابن عربي . فقد  
كان ولاء الطامعون منتشرأ فيها ، يفتك سكانها تكاذيباً ، غشي على  
نفسه من الافامة فيها ، وسر الى ارجح الى مصر ، وشعر عندئذ بمذنبية  
الاطمئنان الى المنزل الزوجي بعد ما قاساه من مشقات السفر ، وبعد ما لاقاه  
من العقبات . . .

جلق جنة من تاه وناهي	ورماه مبيتي لولا وياها
قيل لي صف بردى كوثرها	قلت غال برداها برداها
وطاني مصر وفيها وطري	ولعني مشتهاها مشتهاها
وانفسي غيرها ان سكنت	ما خلي سلاها ما سلاها (٢)

(١) ص ٥

(٢) ص ١٣٢



عساد الى وطنه ، ولكنه لم يصرف بكتبته الى الامسة والاصحاب .  
 وانما كان يذهب كل يوم الى حل المقطم فيقيم هناك وقتاً طويلاً يتعبد  
 وينذ كر ويصاحد في سبيل الوصول الى الحق ، او يذهب الى الحمام الازهر  
 فيجتمع الى الشيخ والطلاب ، يتحاورون في امور الدين ، وينتدكرون  
 احبار الصالحين ، واصحاب الكرامات المشهورة ، ولاعمال المشكورة ،  
 ويقرأون الكتب الدينية ، ويقدون حلقات الذكر ، يجاهدون بما لبوغ  
 المراتب العالية ، او بلوصول الى مرتبة الحال .

كان ذلك العهد عهد حد وعمل . فاصرف ابن الفارض الى الوضع  
 والبأس امكاره اثوب اشعري الذي يطالمنه الارقي الديوان . فكان  
 يستوحى في سكية لمقطم وهدوثة دكريات لدير المقدسة ، فيعلم سبك  
 ذلك القصائد الرقيقة التي تدوب بالمخافة السابعة ، يستوحى من حلمات  
 الصبح بين الدعوات والذكر والصلوات والعموم وانتقش لظم نوع آخر  
 من القصائد الصوفية .

اما حديثه فهو حديث كل ادب وكل صوفي . كاد بالاعطاة الصوفية  
 خرجت من صدور حميم المتصوفين لتتجمع في صدره وحده . فهو في حبه  
 شاعر رقيق قد لا يجد له مثلاً بين جميع اشراء الذين عرفتهم الآداب  
 العربية . يجمع الى تلك الرقة جميع الماصر التي امتاز بها امراء اشعر  
 العربي ، وجميع المؤملات التي تعدد لتو مرتبة ساية بين اصحاب الفواقي  
 ولكنه لم يجل بما نعددت به عصور الاعطاط من هندسة لعظيمة وصور بديمة .  
 عرف العرب شعراء كثيرين . لكل واحد منهم ميزة احتس بها ،  
 واصبحت له وسيلة للابداع والاحادة . فكان منهم الرثاؤون والمداحون  
 والمعاؤون والوصائون ، وكان منهم ايضا المتزلون . وهذه الفئة هي اقرب

الشعراء الى القلوب لما في شعرهم من رقة تحرك العاطفة ، وما في آياتهم من  
 جمال لطيفة . ولا شك في ان ابن الفرض كان من اكثرهم احتراساً للحقائق  
 فأحد كل ما عرته الحاحيلون ، الامويون والعباسيون من تشابه واحترقات  
 وعللها وادانيها في حبه احديد الطريف ، حس الله .

امضى الجحون كما يروي مورخو الادب — في شبابه تشبهاً دكياً  
 شارداً الى مناسك طيف ليلي ، آساً بالظاه لانها قد كره بحدق حبيته  
 وجيدها ، واعتق بن امارس شباهه وكهولته سلب القاب ، فمضطرب  
 الاعصاب ، مثلهم اللسان ، كأن كل ما في العالم من مادة وصور ، شـ اح  
 واعرض ، كأن كل ذلك او هام لا حقيقته لها امام النور الساطع والفتارة  
 الوضاه . امام الحق . . .

اتق . بن المارض معه في حبه . فان لدارس لا ينهي من قراءة ديوانه  
 الا وهو معجب بهذا الشاعر الذي امضى حياته ، اما في انقر تشبهاً مع لوحش  
 كشعراء بني عذرة ، و ما متوحداً سمر دأ الى نفسه ، واما مصرعاً لا يستقيم  
 الا ليعود الى ذكر الله قوة جديدة ، ومان حديثه . هو ان الله المتوحد  
 المصروع . . . وهو اللذائس في كل همه من الطيبة واكل لون وكل صوت  
 وكل عدى من احدتها المديدة . كل اثر من آثارها يتقر وترأ من اوتاره ،  
 ليحمله في شبه عيوبية من التأثر والايمان . فلا عجب اذا رأينا قصائده  
 تدور حول نقطتين اساسيتين : الاولى ذكر الحبيب وحفاته ، والثانية وصف  
 حالة الماشق وما وصل اليه من الشجوب والفضى والمذاب .

يجاز في وصف الله ، هو تارة مادي عالمي في رسمه ، يستعير من الشعراء  
 الجالين طرقهم ووسائلهم في رسم معشوقاتهم ، وهذا به يرى الله . . .

.. وبطرقه شعر لو ابصر فعله هاروت كان له به استناداً

عبت الغزاة والنزل لوجهه      متشفاً ، وبه عيذ لا ذا  
 خسر المسمى عذب المقيبل مكرة      قبل السواك المسك ساد وساذي  
 من فيه والاحظ مسكري بل اري      في كل حارحة به نبادا . . .  
 كالعص قدأ ولصاح صاحبة      والليل فرعاً منه حاذي احذا

وبذهب الى مثل هذه لنشايه برصمة بسديع ، بلطفي سقي تنكد ثلاثي  
 الروح الصوفية . لا ، من منها سوى رمق طام في وحدة الهيدة . وهذا  
 الشعر العربي المادي كان سمح خلود ابن الفارض عند كثيرين من الذين لا  
 يتذوقون المذهب الصوفي ، ولا تساعد فهمهم على تفهم في دراستهم المديدة  
 وسبب انتشار سمته على المتعالمات والمصير وهوارة شعر .

وهو تارة أخرى يرتفع عن الارض ، يرتدي جناحي المخبوذ الماشق  
 الذي تصالحت شخصيته امام وطوبه . ثلاثي كل ما في العالم من مظاهر  
 متعددة مختلفة الالوان والاصوات والاشكال والاحكام . كل ما يقع تحت  
 الحس . ما هو خارج عن نطاق المفولات هو شيء واحد ، هو الحب .  
 تدثر تحت ابن الفارض ولا يرى الا كذا ، سداً هو الله . الله هو كل  
 شيء كما يقول الخواصين وكما يذهب اليه ابن الفارض . ابن عربي . وعناية  
 الغايات في هذا العالم الثاني ليست في فهم حرمياته والتعرف الى حوس كل  
 منها . فهم الشخصية الفردية والخواص التي تنمهاها عن العالم الخارجي .  
 بل هي في ثلاثي ، لدية واندور عالم الحس لتكوت باجمعها مخلوقاً  
 واحداً يشمل الكل . هو الكل ، كل شيء هو . كل جزء عالمي هو .  
 هذه هي فكرة ابن الفارض الحقيقية . يتعلم بها لانه في كل آن ويشي  
 غضب رجال الدين ، وتصيب العامة الماهلين . وقد خشي قبل هذين انفرقةين

ثورة ضميره ، فتاه في يدهاء فكره حتى اعتدى الى الحقيقة . ولكنه ظل  
حائفاً متردداً لا يجرؤ على الجهر بها لما يكتمه ذلك من عتاه الاضطهاد فهو يقول  
في « نظم السلوك » :

ولي من اثم الرويتين اشارة نغزه عن رأي الحلول عقيدتي « ١ »  
ولكن الحقيقة هي غير ما يقول في هذا البيت . فاستمع اليه يقول في  
مقطع آخر :

وما زلت اياها واياي لم تنزل  
ولا فارق بل دقي لذاني أحبت

ويقول :

وصرح باحلاق الجلال لا تقبل بتقييده ميلا لرخوف زينة  
فكل ملبح حسه من جمالها مमार له بل حسن كل مليحة  
بها فيس لني هام بل كل عاشق كيجون لبلى او كثير عزة ..  
وما ذاك الا ان بدت بمطاهر  
فطنوا سواها وهي فيها تجلت . . (٢)

ويقول في قصيدة أخرى :

(١) ديوان ص ٥٧

(٢) د ص ٥٤

تراه ان غساب عي كل جارحة  
 في كل معنى لطيف رائق بهج  
 في نعمة العود والاني الرخيم اذا  
 تألفا بين الحن من المزج  
 وفي مسارح غرلان الخدثل في  
 برد الاصائل والاصاح في البلج  
 وفي مساقط انداء الغمام على  
 دباط نور من الازهار منتسج  
 وفي مساحب اذيال التميم اذا  
 أهدى الي سحيرا اطيب الارج  
 وفي التثامي ثغر الكاس مرتشعاً  
 ريق المداعة في مستنزه فوج (١)

ولا ينف به الامر عند هذا القول الصريح ، بل يحمل في مكان آخر  
 على المعتقدين بالشوبة ابي لقمانين بان الانسان يؤلف كياناً مستقلاً والله  
 يؤلف كياناً آخر ، ويذهب الى انه كان في عهده الاول من اصحاب هذا  
 الرأي ، ولكنه وجد ان الحقيقة في وحدة الوجود ...

كذا كنت حياً قبل ان يكشف النظار  
 من اللبس لا املك عن ثبوتية ...  
 أحال حضيضي الصحو والسكر ومرحي  
 إليها ومحوي منتهى قاب قدرتي  
 فلما جلوت العين عني اجتلبني  
 مفيداً ومي العين بالعين قوت  
 فمن بعد ما جاهدت شاهدت مشهدي  
 وهدي لي اياي بل بي قدرتي  
 وبني موقفي لا بل الي توحني  
 كذلك صلاتي لي ومني كميتي (١)

هذا هو الحبيب الحقيقي الذي اقتبس الشاعر التصوف بمجمله . فهو النعم  
 السامر ، والقمر الساري ، والمرأة الشارقة ، والقراب المزهر ، والشجر  
 المشعر ، والنور الساطع ، والعصور الطائر ، والحبيون اثائه والاسان الفسح  
 يراء في كل رقة حفن ، وحفنة قلب ، وهمة نسيم . . . . . وتوصل به الامر  
 الى مشاركة علماء الكلام في رأيهم بافعال العباد . نسبها في الحقيقة الى الله  
 وفي الحجاز الى اساعل الارضي . فلا اسباب ثابدين في العالم وانما كل ما هناك  
 من علل يعود الى الحبيب الاكبر والسبب الاول ، الى الله :

وكل الذي شاهدته فعل واحد  
 بمفرده ولكن بحجب الاكثة  
 اذا ما ارال الترم تر غيره  
 ولم يسق بالاشكال اشكال رية ...  
 فاشكله كانت مظاهر عمله  
 بستر بلاشت اذ تجلى وولت (١)

تمثل هذا المصروف وما هو عليه من روح حساسة ، وشعور صادق ، تمثله  
 ذاتي وحده ، قائم في عاطفته . ثم تمثل بعد ذلك ، مقامه من هذه الطبيعة  
 الحسية التي تعمر اديبه باصدائها ، وعيبيه ، ولوانها وحسنة باحاسانها ، هذه  
 الطبيعة التي يتشققها لاسها مظهر من مظهر حبيبه ، مصوده ، اديب قريب ،  
 هو في هذه الشجرة ، هذه الزهور ، هذه الحديقة ، هو مستقر في كل شيء  
 ولكنه لا يجده في شيء منها . فكيف اليبين الى الوصول اليه والتمتع  
 بطاعته ، فهم حقيقة . . . ان ، تمثلت كل ذلك فقد وقعت على سر من اسرار  
 ابن العارض . هو في معظم قصائده ، يعيش لا يجده شيئاً . وهو لا يستقر  
 على سر ، قائمه لا يبتدي ، الى مار . هو يسعى ولا يعرف ابن الطريق الحقيقي .  
 يحن الى الحبيب ، يتألم لمرقه . هو زبل ضعيف سقيم معذب . ساءت حاله  
 وغارت عيناه ، واضطربت ركشاه ، وحف لسانه ، وعزل حسنه . فليس  
 في الشعر العربي ، ولا مقالة في الاط ق ، شاعر تدفق عهد الحيرة واقفاق

كما تذوقه ابن العارض ووصفه بدقة وبلاغة كما وصفه في قصائده العديدة  
لهو يقول في أحدها :

قل تركت العصب فيكم شعاً  
ما له مما يراه الشوق في  
ويقول في ثانية :

وقد برح التبريح بي وإمادني  
وأبدى الضى مني حمي حقيقي ...  
فلو كشف العواد بي وتحققوا  
من اللوح ما مني لصانة أبقت  
لما شاهدت مني بصائرهم سوى  
تحلل روح بين أثواب ميت (١)

ويقول في ثالثة :

وقل تركت صريعاً في دياركم  
حياً كبيت يعبر السقم للسقم



فن وثادي هيب ناب عن قبس  
ومن جفوني دمع فاض كالديم (١)

ويقول في رابعة :

خفيت ضنى حتى لقد ضلُّ عاندي  
وكيف ترى المواد من لا له ظل  
وما عثرت عين على اثرى ولم  
تدع لي رسما في الهوى الا عين النجل (٢)  
ويقول في خامسة .

خفيت ضنى حتى خفيت عن الضنى  
وعن برء اسقامي وبرد اوامي (٣)

هد هو الخبيب القريب البعيد الذي يجادل ان يتفرغ منه . وهذه هي حالته من الوحدة ، التحول ، والصنى اظهرها لكثير من الفن الشعري حتى يتناظر ان ليس هالكس خيال بقدر على تمثيل من المعارض واعطائه صورة جسمانية ، فكأنه انسان في غير مادة ، وكأنه روح مستقلة تجسب بدوت طابعة الى جسم . فكيف توقع هذا الماشق الكبير الى التوصل الى محو به الخطير ؟ وكيف قد رعى انزال الحجب المديدة الكثيفة التي تفصل

(١) د من ١١٠

(٢) د من ١١٧

(٣) د من ١٤٠

### بين الالهية والاسائية ؟؟

عبدت طريقه منذ عهد بعيد ، أعدما ناس ملكوها من قبل . صار عليها وعاني في رحنته لاهوال ، ولكنه تطلب عليها حتى تحقق الله ولاح له الالهي القدسي السحري .

لم يؤثر عنه شيء من اسئر . ولكننا نقدر ان نتمدد على قصيدة « نظم السلوك » لدرس تطوره من حيث « اتقانه من عهد الى آخر » عهد الخاطئية ، ثم الحب ، ثم الخبرة فالتشش ، ثم المجاهدة للوصول . صار بن الدارض سيك طريق المقامات يمتازها واحدة . واحدة ، واعد معه الامارة بالسوء ، فطهرها من اوحاسها واعلمها الطاعة والخضوع . وترك الدنيا وما فيها وآثر عايشها العقر . وحالف السطح اعقل في رغبة من اسيايا ، لانه تقصر دون بلوغ تلك المرتبة الروحية ، وسمعان ، لذكر والدعوات والمجاهدات والموم ، حتى لاح له السر الخبي . تساطت الاستبصار واحداً بعد واحد ، وواحه الحق .

قال في تقصير العقل عن ادراك الله :

هناك الى ما احجم العقل دونه

وصات وبني مي انصالي ووصلتي (١)

وقال في ترك الدنيا :

ومن درجات العز اميت مغرلاً

الى دركات الدل من بعد نخوتي

فلا باب لي ينشئ ولا جاء برحبي  
ولا جار لي يجمع لعقد حبيتي

وقال في الفقر :

ويعتبا بالفقر لكن بوصفه

غنيت فالفقت امقاري وثروتي (١)

وقال في ذم الفنى :

علم يدين منها موسر باحتياده

وعها به لم يأ مؤثر عسرة (٢)

وقال في رياضة النفس وكبح جماحها :

نفسي كانت قل لوامة متى

اعلمها عصت او اعصى كانت مطبعتي

فاوردتها ما الموت أيسر بفضه

واقمتها ككيا فكون سريحتي (٣)

وقد جمع مقاماته العديدة في مقطع طريف من تلك القصيدة

حيث يقول :

(١) د س ٤٧

(٢) د س ٤٩

(٣) د س ٥٠

رجعت لأعمال العادة عادة  
 واعددت احوال الارادة عدتي  
 وعدت بنسكي بعدتكي وعدت من  
 خلاعة بسطي لانقاض بعفة  
 وصمت بهاري رغبة في مشوة  
 واحيت لبلي رهة في عقوبة  
 وصمرت اوقتي بورد لوارد  
 وصمت سممت واعتكف لحمة  
 ومنت عن الاوطان هجران قاطع  
 مواصلة الاخوان واحترت عزلي  
 ودققت فكري في الحلال تورعاً  
 وراعبت في اصلاح قوتي قوتي  
 وانفقت من يسر القناعة راضياً  
 من العيش في الدنيا بأيسر ملقة  
 وهدئت نفسي بالرياضة ذاهباً  
 الى كشف ما حجب العوائد غطت

## وجردت في التجريد عزمي ترهداً

### وآثرت في الدلك استجابة دعوتي (١)

ثم إن هذا المنصوف - كسواه من الفلاسفة والمفكرين العرب لم يثار على فكرة واحدة لتمثيل الله - فإذا به يزعم تارة إن حبيبه الذي جاهد للوصول إليه هو مخلوق ثان محيل يلقى به جميع الصفات الحسنة ، كما نرى ذلك عند معظم المنصورين الذين حافظوا على الإيمان لشيء في قلوبهم فتصور الله كما وضعه علماء الكلام . وبذهب تارة أخرى إلى امتناع وحدة وجوده كما رأينا ذلك حلياً في المقاطع التي استشهدنا بها - فالروح الصوفية التي يستشعرها من مجموعة شعره تختلف باختلاف القمائد ، فهو في بعضها مطمئن النفس يذكرو في الشعر ما يذكروه مؤرخو التصوف في الشعر ، أمين على دينه ، لا يجرسه في فكرة متطرفة ، لا يقول حلي ولا مذهب فلي ، وهو في الدمشق الآخر محجوم خيال لا يراعي أصول الدين . وقد جمع بين هذين لنفسين في « نظم السلوك » وحمل فيها كل ما أدرسه من مميزات شخصية . وقد رأينا أبا العلاء لا يذكرك له من الآثار الشعرية سوى هذه القصيدة التي تقع في ما يقارب صمائة بيت .

### اسطورة النفس :

كان للشاعر المنصوف بعض الألام في مذهب الفلاسفة العرب . ولكننا نكاد لا نحسن ثقافة عربية أو إسبانية عامة شاملة كما نبيها ذلك عند ابن عربي

## وجردت في التجريد عزمي ترهداً

### وآثرت في السك استجابة دعوتي (١)

ثم ان هذا المتصوف - كسواء من الفلاسفة والمفكرين العرب - لم يثابر على فكرة واحدة لتشيل الله . فادّعى يزعم تارة ان حبيبه الذي جاهد للوصول اليه هو مخلوق ثان جميل يلقى به جميع الصعاب الحسنة ، كما نرى ذلك عند معظم المتصوفين الذين حطوا على الايمان السني في قلوبهم فتمثلوا الله كما وصفه علماء الكلام - ويذهب تارة اخرى الى اشتاق وحدة الوجود كما رأينا ذلك حلياً في المقاطع التي استشهدنا بها - فالروح الصوفية التي نستشعرها من مجموعة شعراء تختلف باختلاف القصاصد - فهو في بعضها مطعن النفس يذكر في الشعر ما يذكره - وورغو المتصوف في الشعر ، امين على دينه ، لا يجرسه في فكرة متطرفة ولا قول حاد ولا مذهب فلفي ، وهو في البعض الآخر محوم الخيال لا يراعي اصول الدين - وقد جمع بين هذين التفسيرين في « نظم السوك » وحمل فيها كل ما مآدرسه من مميزات شخصية . وقد رأينا ابا العلاء لا يذكر له من الآثار الشعرية سوى هذه القصيدة التي تقع في ما يقارب ستائة بيت .

### اسطورة النفس :

كان للشاعر المتصوف بعض الالاء في مذاهب الفلاسفة العرب - ولكننا نكاد لا نبين ثقافة عربية او احتيية عامة شاملة كما نعبأ ذلك عند ابن عربي

هذا الحدث عندما يعرض لآمر المس • هو قد سمع شيئاً عن رأي القدماء  
والمحدثين في القوة لموجة التي مدعوها الروح • وسمع كلاماً ينسب إلى  
أهللاطون وأشيخ نودي والمعلم شافي والشيخ الرئيس • فعرض لها في أحد  
مقاطع قصيدته ، الكبري حيث يسخر الفسح وفسخ والفسح والفسح •  
ويشارك الحكماء الأقدمين رأيهم في أسطورة اسم • هي قديمة حادثة كانت  
في لعالم العقل • ثم جعلت إلى الأرض • فاد أعماها بطرق الصوفية فإنها  
تذكر المعرفة التي تلقفتها في لعالم لأول تصحح عارفة بما معنى في الأزمان  
العابرة ، كما يكون في المستقبل • أدأ فالروح قديمة دسية • ولتصوف بذكرها  
المعرفة وبعدها للحلاص من الأمر والرجوع إلى مقرها الأول :

ومن قائل بالشيخ والمسح واقع به أبرأ وكن عما يراه بعزلة  
ودعه ودعوى الفسخ والرسخ لائق به أبد لوصح في كل دورة (١)  
ويقول :

... تحلت لها بالغيث في شكل عالم

هداها إلى فهم المعاني الغريبة

وقد طبعت فيها العلوم واعلمت

باسمائها قد ما بوحى الآية .. (٢)

وبين هذا رأي وما ذهب إليه ابن عربي اختلاف كبير من حيث

الوضوح والسياسة، والتمثيل الشعري، فإن مسطورة النفس من خواص صيغ  
الرئيسية التي أوجت إلى مفكري لاسلام، سلم الصفحات وأروع لرسائل  
واقصائد، هي أسطورة، حدثت فيها حكاية، وتحرروا في ثوب عظمي  
شعبي، تعرض لها من سيد في فترة حبيبة، في رسالته طير، ود صحت  
مستعارة، صغر يو حمد لعربي، في أخرى على سائر العصور، فبدلة  
التي تشد خلاص، الحرية، الف من عود في مسطورة، كسوة، رسائل  
واقصائد، والكس من تعرض، عرض لها إلى في قبيل من السكالات، والي  
كثير من المعوص، بعد من الشيخ برنذر، حسن نقش صحتها، ومقطوعها  
وقوعها في الشرك، بعد ولاتها خلاص، ذلك به مدلت، بعد عن حو طر  
للتصوير، الذين يعتقدون حد، الرأي في النفس.





## تصويبات

واقع في صم حد - حب خطه - مدنيه عدد - سر في حد - جدول  
ذ ي صم ١٠ والحد من مد ي - ر مدار كما في مائها :

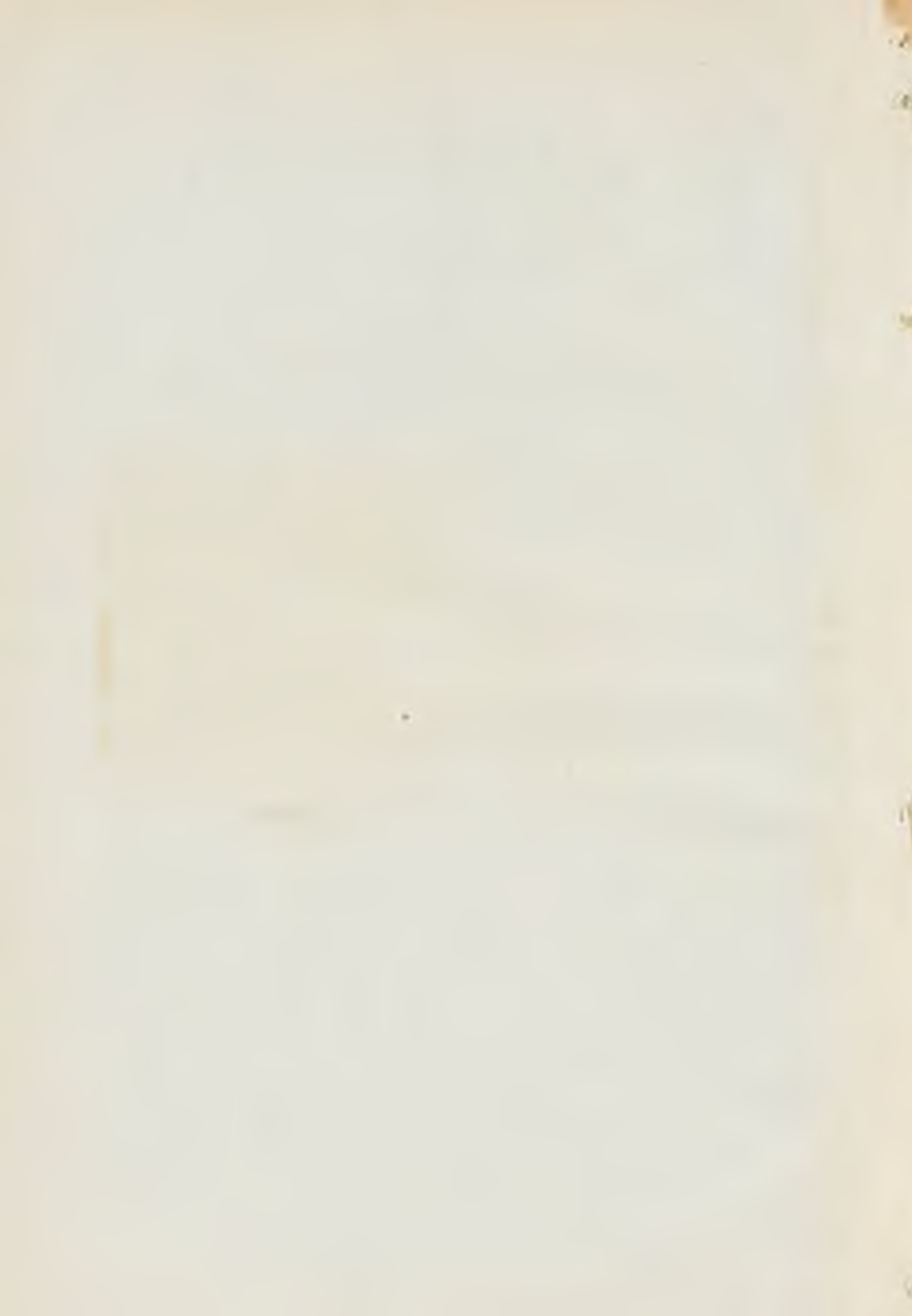
صواب	سطر	صفحة	خط
الانصاب	٤	١٢	الانساب
بصينتها	٢٢	٢٦	شعرها
الحديث	١٧	٤٨	حدث
بدامة	١٦	٥	الدفعة
Siddharta	١١	٦١	Siddharat
Suddhodana	٥	٦٤	Suddhodara
العالم	٦	٦٩	العام
قتل كل ذي نفس	٩	٦٩	قتل نفس ذي كل
ي = ١٠	١١	٧٨	ي = ٤٠
للتوحيد	٧	٨٩	للتحد
زائدة	٩	٩٧	منها
ان على	١٠	١٠٥	على ان
على	١١	١١٨	من
بحر	٧	١٢٣	بحر
زائدة	٩	١٢٧	لي

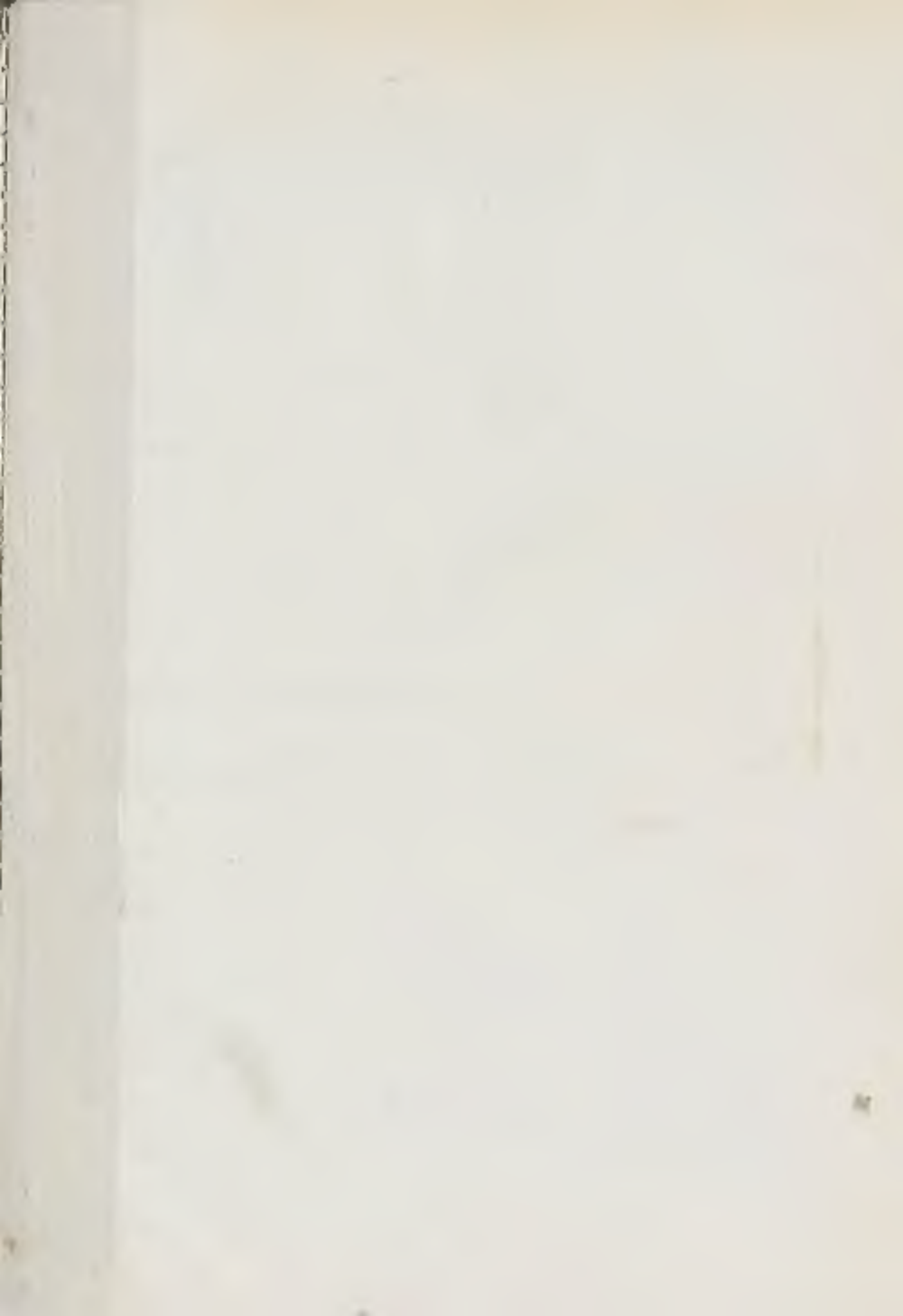
صواب	سطر	صفحة	خطا
مختارين	٥	١٢٨	مختارين
بي	١	١٤٤	بي
الحوالية	١٧	١٤٤	الحوالية
لحق	١٣	١٥٧	الحب
واحدة	٨	١٦٤	واحدة
ما	٧	١٦٨	س





سلسلة مطبوعات [الاهلية]



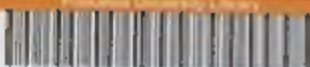


LIBRARY  
OF  
PRINCETON UNIVERSITY

(Arab)

BP189

.A15



32101 059526077